

ذبيان الشَّمرى

البراءة

بين

طغیان الشاه

ودموية الخميني

الطبعة الاولى

١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الناشر
مؤسسة الرسالة للطباعة

ايران

بين

طغيان الشاه

ودموية الخميني

1. The first part of the document is a list of names and dates, which appears to be a roster or a list of participants. The names are written in a cursive script, and the dates are written in a more formal, printed style. The list is organized into two columns, with names on the left and dates on the right.

ايران

بين

طغيان الشاه

ودموية الخميني

21

22

ايران عبر التاريخ

مدخل :

سأحاول في هذا الكتاب ان اعالج موضوع الثورة الايرانية بنزاهة الباحث وتجرد المؤرخ وضمير القاضى ؛ وسأبذل غاية الجهد لاترك للعقلانية المحضة المحافظة على الموضوعية من كل شائبة من شوائب الهوى او العاطفة أو الانفعال ان سلبا وان ايجابا فالثورة الايرانية هى ثالث الثورات التى شهدتها التاريخ الحديث منذ اواخر القرن الثامن عشر حتى يومنا هذا .. فهى ترتفع الى مستوى الثورتين الفرنسية والروسية .. علما بانها بالنسبة لى كمسلم تتجاوزهما اهمية ومغزى ، اذ انها رفعت شعار الاسلام وزعمت بأنها تهتدى بعقائده ، وتسترشد بسننه ومبادئه ، لذلك فليعذرنى القارئ ، اذا لمس شيئا من توتر يتردد من خلال كلمة رافضة او جملة مفجوعة ، انها رفض العقل للمكابرة وتفجع القلب على امل خنفته الخيبة بحبل الجهالة .

ولكن كيف تمكن الخميني وثورته التي تحولت الى مأساة من ان يسقطا نظاما كسرويا عريقا احتفل الشاه ذلك الاحتفال الباذخ المشهود بمرور الفين وخمسائة سنة على مولده وذلك في برسييلوس كما نذكر؟ وكيف انحرف الخميني بثورته عن الجادة وخرج بها على سماحة الاسلام وتراحم المسلمين وسلحها بمخالب الضغينة وانياب الحقد؟

عن هذين السؤالين سأجيب في هذا الكتاب إجابات تتناول المواضيع التالية :

اولا : النظام الشاهنشاهي ..

ثانيا : الثورة من النضال الى النصر ..

ثالثا : ايران الى اين .. ؟

أولا : النظام الشاهنشاهي :

أ - نرجسية الشاه :

ان الانظمة لاتسقط ، بل تنتحر ، وان انتحارها يحدث حينما يصر القائمون عليها على العيش خارج دائرة التاريخ ، فيعلنون بذلك الحرب على طبيعة الاشياء ويفقدون ملكة التمييز بين الممكن والمستحيل وبذلك يقطعون كل صلة لهم بعالم الحقيقة والواقع ..

ومن اهم المفارقات المأساوية في العصر الحديث ، ان الشاه اراد وفي القرن العشرين ان يتمتع بامتيازات الاكاسرة وحقوق القياصرة وقداسة الميكادو .. أفليس هو الشاهنشاه ، ملك الملوك ، وأليس هو أريا مهر ، نور الشمس ؟

والحق ان لقبه هذا كفيل وحده بايقاظ اشد انواع النرجسية
غباء وحماقة .. ولاخلاف ان النرجسية اذا تعهدت الانسان فكرا
وسلوكا ، فعندئذ تفصله عن الواقع بأسوار من الغطرسة
والاستعلاء وتعطل كل طاقاته للتسامي نحو الأفضل ، وتشل
عقله وتحرر غرائزه وتقلب موازينه ، فتريه النصيح نقدا
وتجريحا .. والهداية تطاولا صريحا ..

ومن افتك سموم النرجسية انها لاتسمح لغير الكذب والنفاق
والتهريج بالنفاذ من اسوارها ، الامر الذى يعمى الاعين عن نذر
الكارثة ولذلك ماكاد الشاه المخلوع يحط على ارض مصر حتى
بادر الرئيس انور السادات ناصحا وقائلا : « اياك ثم اياك
الاعتماد على مستشاريك وعيونك ، بل فلتخرج بنفسك الى
الشارع ولتجس بيدك نبض الشعب ».

ولكن النرجسى لاتوقظه النذر ، بل الكوارث وهكذا وجدت
الشعب الايرانى يخرج الشاه من كافة الاراضى الايرانية قبل ان
يخرج المسكين الى شوارع طهران وارياف ايران ..

ب (هل ثمة امة ايرانية ؟

لاخلاف ان الوحدة الروحية هى التى تصنع الامة وان الحس
الجماعى قبل اى شىء اخر هو المظهر الاساسى لممارسة الأمة
لوجودها لذلك فان القوة المادية العارية تكون وتبقى عاجزة عن
تجسيد كيان الأمة اذ ان وسيلتها تكون الاخضاع لا الاقناع .
الامر الذى يعنى ان ثمة خروجا عنيفا على مسار التاريخ وقوانينه
الحضارية .

فلنتأمل في مركب الأمة الإيرانية ولنتساءل عما يكونه ذاك العامل الذي جعل من شعوب مختلفة اللغات والتقاليد كاذبيجانيين والأتراك والأكراد والبلوش والعرب وحتى الأرمن أمة واحدة .. لاشك ان ذلك العامل هو الجيش أى القوة المادية العارية ، فالجيش كان ويبقى الإطار الجغرافى لما نعرفه باسم إيران ، علما بان والد الشاه الراحل ، حاول اصطناع قومية جامعة بين الشعوب الإيرانية هى القومية الآرية ، وقد كرس المحاولة حينما بدل فى عام ١٩٣٥ اسم بلاده من فارس الى إيران ، أى موطن الآريين .

ولكننا جميعا نعلم بان عامل العنصر وحده ولاسيما اذا كان ضبابيا كالعنصرية الآرية لايكفى لاعطاء مجموعة من الشعوب او القبائل هوية قومية ، أى هوية الأمة وذلك لأن الأمة هى نتاج تفاعل مختلف العناصر الحضارية طوال حقبة مديدة من التاريخ .. ولكن رضا بهلوى كان يوم ذاك شديد التأثير بالعنصرية التى طغت على أوروبا خلال الثلاثينات من هذا القرن .. حيث اصبحت الآرية على يدى هتلر الوثن المعبود ، كما اتخذ أيضا من كمال أتاتورك القدوة والمثل ولاشك ان كمال أتاتورك ، هو الذى بلغ بالقومية الطورانية هدفها النهائى المائل فى الغاء العثمانية الاسلامية اللون كعامل توحيدى بين أمم وشعوب الامبراطورية العثمانية ، بديلا عن الاسلام ، وبالحرफ اللاتينى بديلا عن الحرف العربى .

التوحيد الارغامى :

ولكن العنصر التركى يشكل الأكثرية الساحقة من سكان تركيا .. كما ان اللغة التركية هى لغة هذه الاكثرية زد على ذلك ان لهذه الاكثرية تاريخا واحدا منذ ان اصبحت القسطنطينية « استنبول » فى عام ١٤٥٧م عاصمة للاتراك الذين حينما توسعوا فى فتوحاتهم لم يجدوا افضل من الدين الاسلامى كعامل توحيد بين الشعوب التى اخضعوها فى المشرق لذلك كان لابد للإمبراطورية العثمانية من التفكك ومن ثم الانكماش فى دولة تركية حينما تخلت عن الاسلام واستعاضت عنه بالقومية العلمانية ..

أما فى ايران فان العنصر الفارسى لايشكل اكثر من اربعين بالمائة من سكانها .. ولما كانت العلمانية رفيقا ملازما للقومية وكانت الآرية قومية مية بالنسبة لسكان ايران ، ولم يكن ثمة تاريخ مشترك بين شعوبها ماعدا الاجتراب والحروب ، لذلك فان الاتجاه القومى العلمانى كان يفرض التوحيد الارغامى لا الوجدانى الامر الذى مارسه والد الشاه وهكذا وجدت رضا بهلوى يشن اعنف هجوم على الدين وعلى صروحه وشاهدت سنابك خيله تقتحم المساجد وتدوس المصلين ورأيته يدفع بزوجته شمس الملوك للخروج سافره الى الناس ويفرض السفور على نساء ايران وينتهى الى اعلان الحرب العلمية .. ولذلك نستطيع القول وبأطمئنان ان جميع ماشهده ايران منذ تربع رضا بهلوى على عرش الطاووس ، حتى خلع ابنه محمد ، من ثورات واضطرابات داخلية ، انما كان المظهر الاساسى من

مظاهر الصراع بين المسجد والنظام الامبراطورى بين الحسينية
والثكنة العسكرية فالقومية والعلمانية المصطنعة كانت الطيف
الديناميكي للاحداث فهى التى حركت الرواسب القومية فى
نفوس الشعوب الايرانية فأيقظت القومية الكردية وكذلك التركية
والبلوشية وابتقت على النوازع العربية فى عربستان المعروفة اليوم
بخوزستان وقد اتضح للساسة العاملين الايرانيين ان الدين لا
القومية الآرية البائدة ، هى عامل الوحدة الوحيد بين الشعوب فى
ايران وقد حاول هؤلاء الساسة ان يعقدوا نوعا من حلف بين والد
الشاه المخلوع وبين رجال الدين لكن رضا بهلوى ركب رأسه
وتابع مساره القومى العلمانى فى ظروف دولية ساعدت على
تعطيل الكثير من الالغام التى اعترضت طريقه داخل ايران
فالظروف الدولية فى اواخر العشرينات وفى الثلاثينات من هذا
القرن كانت تثير الرعب فى الغرب من ابتلاع الشيوعية السوفيتية
لايران ولاسيما ان لبعض الشعوب الايرانية امتدادات عرقية
داخل الاتحاد السوفيتى كالاذريبيجانين والاكراذ مثلا ، وهذا
مما جعل الغرب ولاسيما بريطانيا ترى فى رضا بهلوى الشخصية
الواجب دعمها لصد زحف الشيوعية الى الهند والبحار الدافئة
ولتحويل ايران الى دولة عازلة - *BUFFER* اذا لم يكن
بالامكان تحويلها الى دولة حليفة .. كما رأت بريطانيا ايضا ان
دعوته الى القومية الآرية العلمانية ، والابتعاد عن الاسلام امران
يساعدان على تخدير العواطف الاسلامية فى الهند ، ويكبحان من
جماح تطلعات المسلمين الهنود اصف الى ذلك ان نظام رضا
بهلوى كان تقريبا يتطابق شكلا ومحتوى ونظام مصطفى

اتاتورك ، وكانا يلتقيان بحكم طبيعتهما على العداء للسوفيت من حيث دعوتهما الى القومية ومحاربتهما للشيوعية ، ولذلك كان يلقي الغزل المكشوف بين رضا وهتلر ، من لدن الغرب ، تسامحا وتشجيعا لا بل مكافأة ايضا ، حيث اهدته بريطانيا مشيخة عزبستان الغنية بآبار النفط .

وقد بقى رضا بهلوى والد الشاه المخلوع متربعا على عرش الطاووس ومستمتعا برضاء الغرب ، لابل وبمساندته ايضا حتى عام ١٩٤١ ، حينما غزت القوات البريطانية والسوفيتية ايران فخلعته عن عرشه ونصبت ابنه محمدا شاهها جديدا ..

ج (الابن على خطى ابيه :

تحت شعار تحديث ايران تحول رضا خان من نادل « خادم في مطعم » الى جندي ومن ثم الى ضابط قفز من الثكنة الى القصر الملكي فخلع احمد شاه وتربع مكانه على عرش كسرى .. وانسجاما مع رضا خان والتقاليد الفارسية التي تنص على ضرورة وجود عائلة مقدسة تتولى شؤون الدنيا والدين اختار النادل « الخادم في المطعم » لشخصه ولذريته اسم بهلوى وهكذا اصبح معروفا باسم الشاهنشاه اريا مهر رضا بهلوى .. لم يخلف رضا بهلوى لابنه عرشا فقط ، بل اورثه منهاجا اساسه التناقض وهيكله المفارقة ، وبدلا من ان يعيد الشاه النظر في ارثه اعتمد ذلك الارث واعتبره تراثا جديرا بكل استلزام واسترشاد ، فحاول تشذيب الجسد الايراني تشذيبا يتناسب والنظام القائم بدلا من تعديل النظام الموروث تعديلا ينسجم وطبائع الشعوب الايرانية ويتناغم وعقيدتهم الاسلامية وبذلك ضرب عرض

الحائط بابسـط قوانـين الاجـتماع وانـجر الى حـرب خاسـره سـلفا
ضـد طـبيعـة الاشـياء فصـح فيـه القـول « الـأبـاء يـأكلـون الحـصرم
والـابنـاء يـضـرسـون » ..

ومـن حـسـنـات الحـرب العـالمـية الثـانـية بالنـسـبة للشـاه الجـديـد ،
كـونـها : قـد اجـلـت انـفـجار التـناقـض في النـظـام الشـاهـنشـاهـي ولـكن
تأجـيل القـضـيـة لايعنـى ابدـا حـلـها ، بـل يعنـى فـقـط تنـامـيـا في
مخـاطـرها وتوالـدا في اخـطـارها وتزايـدا في اـهـوالها ، واخـيرا
انـفـجارها ذلـك الانـفـجار المـدمـر للـدار والمهـلك للـديـار .

انـتـهت الحـرب العـالمـية الثـانـية ، وبعـد مسانـدة جـديـة من
الـولـايـات المـتـحـدة الـامـريـكـية والغـرب عـامـة ، انـتـصـر الشـاه في
معارـكه ضـد الـاتـحـاد السـوفـيـتـي ابتـداء من معارـك الـامـتـيـازـات
البـتـروـليـة فـجـلاء السـوفـيـت عن اـيـران ، وانـتـهـاء بـالقـضـاء عـلى
الـحـركـة الانـفـصـاليـة في اذـربـيـجان الـايـرانيـة ، وبعـد فـتـرة من التـقـاطـع
نفسـ ، خـرجـت مـشـاكـل اـيـران تـسـعى من جـوـورها واصـبـحت
قـضـايـا مـحـاطـة بـالـاطـر المـذهـبـيـة ومـلـونـة بـالـالـوان الـايـدـولـوجـيـة
فـالـحـرب العـالمـية الثـانـية لـم تـخـلف ورائـها فـقـط المـوت والـدمـار ، بـل
اصـبـنـعت ايـضـا لـلسـيـاسـة اجـواء ومفـاهـيم جـديـدة واستـحـدثـت
مـذاهـب وشـعارات لـم يـسـمـع بـها الشـرق من قـبل .

واغـرقت شـعـوبـه بـطـوفـان من كـتب وافـكار ذات قـدرة هائـلة عـلى
الـاسـتـهـواء ولاسيـما اسـتـهـواء البـسـطاء من النـاس .. وبـذلـت كـل
جـهد مـمـكـن لـاسـتـثـنـال الـاسـلام من الشـرق واـعـلان افـلاسـه نـظـامـا
وتـراثـا . وهـكـذا وجـد الشـاه الشـاب نـفسـه .. ونـتـيـجـة لـمـنـهاج والـده
بـين فـكـي كـماشـة ، بـين الـاسـلام الذـي اسـتـعـاض رـضا بـهلـوى عـنه

بالعلمانية وبقومية ميته ، وبين مذاهب وافدة متعددة الاسماء بראה الشعارات سديمية المحتوى وطبعة بيد الحاكم باسمها والمستظل بشعاراتها وبارعة فى التكيف واهواء الدهماء وفى اللعب على طموحاتها الغامضة وذلك لان لأصحابها هدفا اوحدهو السلطة ومنهاجا وحيدا هو الاستيلاء عليها ، وسياسة واحدة هى الاستمساك بها فى كل ظرف وحال حتى ولو اضطهرهم ذلك لتدمير المدن على رؤوس النساء والاطفال والشيوخ والرجال ... وقد اعتنق تلك المذاهب الوافدة اشباه المثقفين من المتعلمين وغير الأميين وتسموا بالشوريين وتوزعوا بين شيوعيين واشتراكيين وفوضويين وحتى ديمقراطيين ، ولكنهم التقوا على هدف واحد هو نسف النظام القائم وتقويض اركان عرش فارس وقد وجدوا لدن الشيوعية الدولية واحيانا لدن الغرب كل تشجيع واسناد ..

ومن الطريف ان هؤلاء رفعوا بدورهم العلمانية شعارا ، الامر الذى كان يجب ان يعنى انهم يلتقون والشاه منهاجا لكن علمانية هؤلاء كانت فى واقعها تنبع من حيث يدرون او لا يدرون ، من الماركسية اى ان مولد ديناميكيته الاساسية كان مبدأ الصراع الطبقي وكان هدفها الاولى الاستيلاء على السلطة وكان اسلوبها فى السياسة الشغب والعنف ..

الى ذلك المأزق الخطر آل الشاه الجديد،فقومية ابيه المصطنعة فصلته عن الشعوب الايرانية المسلمة ، وعلمانيته المستأثرة ، كانت اضيق من ان تتسع لثورية المستجدين فى السياسة وفوضوييها ونرجسيته العمياء جعلته مكابرا فى الحق لباحثا عن

الحقائق وغريزة الحفاظ على البقاء ارغمته على الاعتماد على منطق القوة ، اى الاخضاع لا الاقناع فانتهى الى ما انتهى اليه والده ، اى الى الاعتماد المطلق على الجيش فأصبح للجيش امة بدلا من ان يكون للأمة جيش واصبحت القوة هى التى تفسر الحق وتحدد مفاهيمه ، وبذلك غدا العقل خاضعا للارادة بدلا من ان يكون سيدها ومرشدها ..

الخميني من أين وإلى أين ؟!

١ - معقولية التاريخ :

لم يتعظ الشاه بالتاريخ ، ولربما لم يقرأه .. وان كان قد قرأه فهو تأكيداً لم يستنطقه .. فالشاه تجاهل التاريخ واستعلى على معقوليته ..

لقد كان يكفي الشاه لتجنب مصيره الفاجع ان يتمعن في تاريخ بلاده وان يدرس نفسية امته وان يتأمل في الثورة التي عصفت بآيران بين عامي ١٩٠٥ و ١٩٠٩ .. وكان من اليسير عليه وعلى مستشاريه ان يستلهموا تلك الثورة كيفية امتصاص الاحداث التاريخية واسلوب التعامل والبشر .. ولو ان الشاه فعل ذلك لما كانت ثورة الخميني قد شقت طريقها من المساجد والحسينيات الى الشوارع والتكنات وطوحت به وبأسرته ونظامه .. او لما كانت الثورة والخميني معا .. قد فرضا نفسيهما على التاريخ ..

ومن المفارقات المحزنة ان الخميني لا يختلف والتاريخ حالاً عن الشاه فالخميني كما يبدو لي يجهل او يتجاهل الدور الهدام الذي قام به الشيخ فضل الله نوري ، وكذلك المصير المأساوي الذي آل المذكور اليه بعد انتصار دستور ١٩٠٩ وخلق الشاه

الكاجارى محمد على شاه وتنصيب ابنه الطفل احمد شاه
جديدا بدلا من ابيه .. وعلى الرغم من اختلاف ظروف الخميني
وظروف فضل الله نورى من حيث الزمان والبنية الطبقية
للمجتمع الايرانى فان الموضوع الذى عبأ جماهير الامة الايرانية
وحشدها يومذاك حول الشيخ فضل الله نورى ، هو الموضوع
ذاته الذى جعلها تلتف بالامس حول الخميني ودعوته .. واعنى
بذلك الموضوع الحرية المضمونة دستوريا والمحترمة حكوميا
والممارسة شعبيا .. ولكن الخميني لم يتعلم حتى كتابة هذه
السطور ان التاريخ بالاضافة الى كونه مرشد العقل في فهم الماضي
على اضواء الحاضر فانه ايضا المرشد في صنع المستقبل من
الحاضر على اضواء الماضي .. فالشيخ فضل الله نورى عندما
انقلب على الدستوريين الايرانيين في مطلع هذا القرن واعتبرهم
فوضويين وملاحدة ، وانضم من حيث اراد او لم يرد ، الى صف
الشاه الكاجارى كما فعل اية الله الكاشانى اثناء انتفاضة
مصدق فانه لم يشق الامة الايرانية الى معسكرين فقط : معسكر
رجال الدين ومعسكر العلمانيين او الليبراليين بل شق ايضا كل
معسكر من دينك المعسكرين الى شرائح وطوائف وجماعات ،
الامر الذى مكن ذلك الضابط المغمور رضا بهلوى من الوثوب من
الثكنة على الدستور والغائه والتربع على عرش الطاووس ، ومن
ثم فرض سيطرة الثكنة على المسجد والحسينية وفرض
ديكتاتورية عسكرية طاغية على شعوب الامة الايرانية واخيرا
الغاء الوجود المعنوى للامة والاستعاضة عنها بالقوات المسلحة
الايرانية .. ذلك كله جاء نتيجة لانحراف فضل الله نورى عن

الجادة وتعطيله لركب الحرية ، ولما صرته من حيث يدري او لا يدري الاستبداد على التحرر ، الامر الذى يرغمنا على القول ونحن نشهد مأسى ايران الخمينية ، انه ليس ثمة انسان يسمح له منطقه الوجدانى ، بالتصدى للدفاع عن الخمينى الذى شق ايران ايضا الى معسكرين معسكر رجال الدين ومعسكر العلمانيين كما اشاع ايضا الانقسام فى مختلف المرجعيات الدينية ، بدليل ما حدث لآية الله شريعة مدارى ولغيره من الآيات ، وموقف هؤلاء وذاك من نظام الخمينى .. اصف الى ذلك انفضاض الانتلجنسيا باكملها من حول النظام ، واعتماد النظام كليا ، على الحرس الثورى الاسلامى الذى امسى اليوم هدفا لكل نهاز أو صياد ، ومما لاشك فيه ان النظام الايرانى الحالى يعيش فقط بسبب عدم تكامل واكتمال القوة . التى تملأ الفراغ الذى سينجم عن سقوطه وليس بسبب قواه الذاتية ، الامر الذى يمهد كل سبيل لوثوب الجيش على السلطة او لاستيلاء اليسار الايرانى المتمحور حول حزب توده والمدعوم بالاتحاد السوفيتى على مقاليد الحكم ..

ب - اللامعقول والمعقول :

تقول الفلسفة المادية بالحتمية التاريخية .. الامر الذى يعنى انعدام حرية الارادة وكذلك حرية الفعل ، اى عجز الانسان عن الخيار بين الصالح والطالح ، مما يعنى انعدام العقل والمعقولة الانسانين فى التاريخ اجداثا ومجرى ، كما يعنى ايضا سقوط مبدأ الثواب والعقاب بصيرورة الانسان اداة للفعل لافاعلا للفعل ..

وهكذا نسمع اليوم بعض الماديين ولاسيما الماركسيين
الاييرانيين من اعضاء حزب توده يبررون افعال الخميني
وانحرافاتة بقولهم بان مايفعله انما يفعله بحكم حتميات المرحلة
التاريخية التى تمر بها الامة الايرانية ، ولكن مقولتهم هذه
يرفضها الدين وحتى منطق القرن العشرين ولاسيما بعد ان
تراجعت عقلانيته المادية عن معظم مسلماتها وقواعدها
المنطقية ، الأمر الذى اتضح بجلاء من خلال الاحداث الحقيقية
التاريخية التى اخرجت الى العالم الاتحاد السوفيتى والصين
وعديدا عديدا من دول العالم الثالث فى اشكال الانظمة التى نراها
الآن .. ولكن ما العمل ودغمائية اليسار الشرقى الذى مازال
حتى يومنا هذا يجتر الفتات الذى تساقط من موائد المادية فى
القرن التاسع عشر ..

لذلك اقول انه ليست ثمة حتمية او حتميات تاريخية ، بل
هناك حركة تاريخ تتجه بمواكب البشرية دائما الى الامام ، وعلى
الرغم من ان محاولات كمحاولات الخميني او غيره قد تعطل ركب
الانسانية ، لبعض الوقت عن سيره او قد تجمد الانسان فى مكانه
او تعود به الى ماض طواه التاريخ بغياره غير ان عقلانية الانسان
المائلة فى معقولية التاريخ والمتسامية دائما نحو الله ، تدفع
بالموكب ابدا نحو الأفضل ..

وتتجلى احيانا حركة التاريخ هذه من خلال الصراع بين
نرجسية الانا المجنونة وبين عقلانية النحن ، اى بين المستحيل
استمراره وبين المؤكد انتصاره بين الطغيان وبين الحرية ، بين
الطاغية وبين الامة ، بين اللامعقول وبين المعقول .. ومع اننا

نسلم بان الاحداث الحقبية التاريخية مسرحيات يؤلفها العقل ويخرجها في معظم الاحيان الجنون ، ويمثلها غالبا التعصب والجهالة والغباء ، غير ان مااجتمع للبشرية طوال قرون وقرون ، من دروس وتجارب وعبر لايسمح للخميني ولغير الخميني من الذين تتقمصهم الاحداث الحقبية التاريخية كالثورات مثلا ، بان ينحرفوا عن عقلانية الانسانية ومعقولية التاريخ الهادفة الى اقامة مجتمع العقل ، اى مجتمع الحرية وذلك لان العقل وحده هو منبع الحرية وناظمها ، اذ انه ميزان الحق والواجب .. وهو وحده القادر على اقامة التوازن بينهما .. وهكذا تكون الحياة الحرة هي الحياة المعقولة ذات الارادة المعقولة والفعل المعقول .. وان مثل تلك الحياة هي وحدها القادرة على حماية الفرد والمجتمع معا من عبثية الفوضى وغباء الطغاة وعدمية الطغيان .. وذلك لان سيادة العقل تعنى فقط سيادة الحرية بتحرر النظام من هواجس الانا وطغيان الشهوة وقلق الغريزة وتحرر الفرد من انفعال التعصب ومخاوف الجهالة وتهور الغباء .. وتعنى ايضا الارادة المعقولة تلك التى لاتسمح الا بالفعل المعقول الامر الذى يعنى انبثاق الفعل عن العقل وممارسة العقل للفعل والارتفاع بالفاعل الى مرتبة الحرية اى مرتبة العقل ، هذه المرتبة التى الغاها الخميني حين اسلم زمامه للقوة النزوعية : FACULTE APPETITIVE لا للعقل ..

ج - القوة النزوعية :

يقول افلاطون ان اقوى الشهوات هي شهوة الحكم اذ ان

اشباعها يعنى الاستمتاع والتمتع بجميع اللذائذ .. وهكذا نسمع افلاطون يحذر من طغيان هذه الشهوة وينذر من جبروتها ، والحق ان افلاطون قد اصابَ كبد الحقيقة فيما قاله .. وذلك لان جميع الانتكاسات والنكبات التى نزلت بالانسانية طوال تاريخ تساميتها نحو الافضل انما تعود الى مانسميه بالقوة النزوعية .. وان هذه القوة كما نعلم هى القوة المحركة للنفس البشرية وهى جماع قوتى الشهوانية والغضبية ولذلك فاننى ارى ان مآخلة الفلسفة المادية من حتميات تاريخية فانما هو فقط نتائج حتمية لسيطرة القوة النزوعية لا العقل على الحاضر ، ومن ثم حلول هذه القوة محل العقل وارادته .. فى التعامل والحاضر بوقائعه وامكاناته وهنا تنحرف هذه القوة بالاحداث التاريخية عن اهدافها وبالتاريخ عن مجراه .. ولكن انحرافها هذا لا يستمر طويلا حتى ولو جاءت بعض محاولات تصحيحه بالمزيد من الانحراف وذلك لان العقل ينتهى اخيرا الى تصحيح مجرى التاريخ ومسار احداثه ..

ولاجدال ان القوة النزوعية لاتستطيع ان تستولد التاريخ غير المأسى والنكبات .. فالشهوة بطبيعتها نزاعة الى الاغتصاب اى الى الظلم والعنف .. وهى حينما تركب غارب الغضب تعمى البصيرة والبصر وتتدحرج براكبها ومركوبها وحتى بمروءتها الى قعر الهاوية .. وهذا ماحدث لايران بثورتها الجهيض منها والخديج ثورة ١٩٠٩ وثورة الخمينى التى اختنقت بابخرة القوة النزوعية واغرققتها الشهوة والغضب فى نقائع الدم .

ومن اشد شرور القوة النزوعية كون صاحبها يكره ان يرى

حوله الفضيلة والفاضل والموهبة والموهوب فالفضيلة تستثير حسده والفاضل يستثير نقمته اما الموهبة فتثير في صدره الخوف والموهوب يستثير في فؤاده الرعب ، لذلك يكون اول ضحاياه الموهوب الفاضل الامر الذى يبدو واضحا كل الوضوح من التصفیات الجسدية التى مارسها الخمينى ونظامه والحق يقال انه لم يسبق ابدا لاي زعيم ثورة ان اجتمع حوله من افاضل المثقفين ما اجتمع منهم حول الخمينى وثورته ..

واننى لن اتجنى على الحقيقة اذ اقول ان الانتلجنسيا الايرانية وعلى مختلف مشاربها .. ومذاهبها .. قد اتخذت من الخمينى قطبا وحيدا لرحاها .. وكان بإمكان الخمينى ان يكون ويبقى فوق كل تيار او ايدولوجية ومرجعا او حدا عند كل خلاف .. وفيصلا فى كل تصادم .. ومنارا للحرية ومرشدا للاحرار لا فى ايران وحدها بل وفى كافة اقطار العالم الثالث الذى استقبل ثورة الخمينى استقبالا اليائس لعراض الامال .. لقد فتح التاريخ امام الخمينى اوسع ابوابه ودعاه الى رحابه وقدم اليه قلمه وكتابه ولكن الخمينى لم يسجل فى كتاب التاريخ غير خيبة امل امته وخبية امال شعوب العالم الثالث بشخصه وثورته ونظامه فالخمينى لم يستطع بحكم فطرته ان يرتفع فوق مستوى القوة النزوعية الى مستوى العقل فكان لابد له من ان يترك للاعدام والسجون والمنافى ان تتوزع فيما بينها الازاهير من الشباب الايرانى المثقف المسلم ، وان يسحق بمطرقة طغيانه الغبى كل فضيلة وفاضل وكل موهبة وموهوب ؛ فالطغيان لا يرتاح الا للرذيلة والرذيل والطغاة لا يطمئنون الا للتفاهة والتافه وذلك لان

كل طاغية تسافه ومردول .. ولكن ماهى الاسباب التى دفعت بالخمينى الى الانحراف عن جادة العقل وبحكم ذلك عن جادة الحرية والاحرار .. وجعلت اسمه مرادفا للطغيان والنزوعية بعد ان كان مرادفا للحرية والعقل ..

د - عوامل الانحراف :

ان انحراف الخمينى عن الجادة وتعطيله لموكب الحرية فى ايران ، وفرضه ذلك النوع الرهيب من نظام الحكم على الشعوب الايرانية وخروجه على مبدأ الشورى الاسلامى وعلى قواعد الديمقراطية من اسلامية ووضعية ، ووضع السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية فى شخص الفقيه اى شخصه . وتخويله دستوريا حق عزل رئيس الجمهورية المنتخب شعبيا ، وسلطة اقالة الحكومة وحل مجلس الشورى الامر الذى يجعله فوق الامة تمثيلا وسلطة ومن ثم نص الدستور على أن يكون الفقيه ايضا القائد الاعلى للقوات المسلحة ، وعلى كيفية انتخاب الفقيه والهيئة التى تنتخبه ، وتكريسه من حيث الممارسة ، والاجراءات الفعلية ، المبدأ الشاذ عن كل عرف دستورى او تقليد فقهى والقاضى بعدم مسؤولية من يحكم وبمسؤولية من لا يحكم الامر الذى يسقط مفهومى الحكم والمسؤولية معا .. ويطالبنا بصورة ملتوية بالعمل بمبدأ الحق الالهى الذى زعمه حكام اوروبا لانفسهم فى القرون الوسطى .. ذلك الحق المزعوم الذى اسقطه الاسلام بزمان طويل قبل ان يسقط تحت سكين مقصلة الثورة الفرنسية اذ ورد فى القرآن

الكريم قوله تعالى « وامرهم شورى بينهم » وورد أيضا في الحديث الشريف « يد الله على الجماعة » ، وكذلك امتى لاتجتمع على ضلالة » ولكن الخمينى يتجاهل هذه القواعد الاساسية فى نظام الحكم الاسلامى ويخرج عليها قولاً وفعلاً بنظريته فى ولاية الفقيه .. فماهى العوامل فى انحراف الخمينى بجمهوريته عن منطق الشرائع السماوية ومنطق التشريع الوضعية ؟

ان تلك العوامل كما ارى ثلاثة :

الاول : العامل التاريخى

الثانى : العامل الثقافى

الثالث : العامل النفسانى

واننى هنا سأقدم عجالة من تحديد ووصف للعوامل الثلاثة الأنفة الذكر

١ - العامل التاريخى :

شهدت ايران الحديثة منذ مطلع هذا القرن حتى يومنا هذا .. ثورتين اثنتين وانتفاضة واحدة .. والحق ان هذه الاحداث التاريخية السالفة الذكر تشكل ثلاث حقبات تاريخية بكل ما لكلمة الحقبة من معنى ومفهوم تاريخيين .. فالثورة الاولى عام ١٩٠٩ تمثل نهاية حقبة اسرة الكاجار وبداية المرحلة الانتقالية الى الحقبة البهلوية التى بدأت برضا شاه والد الشاه المخلوع وانتهت بانتفاضة مصدق ، حيث كانت هذه الانتفاضة بداية

المرحلة الانتقالية الى الحقبة الثالثة الا وهى حقبة الثورة
الخمينية .

والحق ان الامانة التاريخية تلزمننا بان نعترف بان الشاه
محمد رضا بهلوى بذل غاية الجهد خلال المرحلة الانتقالية
المذكورة آنفا للنهوض بايران والارتقاء بها الى مصاف الدول
الغربية فقد انعطف بايران نحو التصنيع ، وسعى الى انشاء
قوات مسلحة ضخمة وحمل ايران الى عتبات عصر التكنولوجيا ،
واشترع قانون الاصلاح الزراعى وقام بثورته البيضاء
المشهوده ، ولكن جميع هذه المنجزات الفذة والاصلاحات
الاقتصادية والاجتماعية الجذرية تقريبا لم يرافقها اصلاح
سياسى اى تقدم نحو المزيد من الحرية والمشاركة الشعبية
الحقيقية فى الحكم الامر الذى افقد نظام الشاه توازنه وجعله
يعيش فى حال من انعدام الوزن ، فكان حينذاك لابد من تصحيح
الايضاح فجاء الخمينى بثورته ليصحح ما انحرف فاذا به
ينحرف بكل ما استقام وان السبب فى ذلك يعود فقط الى العداء
التاريخى التقليدى .. بين الآيات والعلمانيين فالاحداث الحقبية
الثلاثة اى الثورتان والانتفاضة انما حدثت فقط نتيجة للتعاون
بين الآيات والعلمانيين من برجوازيين على مختلف طبقاتهم وملاك
وعمال وطلبة وفلاحين .. ولكن الآيات كانوا سرعان مايغدرون
بالعلمانيين حالما يلمسون ان زمام القيادة قد افلتت من ايديهم
وامسك به العلمانيون وقد اتضح هذا الامر من غدر الشيخ فضل
نورى بثورة عام ١٩٠٩ وغدر اية الله الكاشانى بانتفاضة
مصدق ، ومن ثم تصفية الخمينى لجميع العلمانيين الذين

تعاونوا معه على انجاح الثورة ابتداء بمهدى بازرگان فالاميرال احمد مدنى فابو الحسن بنى صدر ، فاغتيال مصطفى تشمران فاعدام صادق قطب زاده ف.. ف.. وذلك لأن الآيات وعلى رأسهم آية الله روح الله الخمينى ، لم ولن يكتفوا بجوهر السلطة بل انهم عازمون على الاستئثار ايضا بمظهر الامر الذى لم يكتشفه العلمانيون الا بعد فوات الاوان ومن المحزن ان العلمانيين ايضا لم يقرأوا التاريخ ولم يتعظوا به على الرغم من ان اكثريتهم الساحقة كانوا من اعوان مصدق وانصاره ، وعاشوا مأساة غدر الكاشانى بهم بكل فصولها ومع ذلك كله سقطوا فى الشباك التى نصبتها لهم باطنية ذلك الثعلب بهشتى ، الذى تمكن بمباركة الخمينى من شق صفوف الليبراليين وتشتيت شملهم .. لقد كان من المتوجب على العلمانيين ان يقفوا منذ البدء فى اشتراع الدستور موقف المعارض العنيد لمبدأ ولاية الفقيه .. وذلك لان موافقتهم على ذلك المبدأ الدستورى كانت بمثابة الاستسلام غير المشروط لدكتاتورية الآيات .. لكن بريق المناصب المفرغة الفارغة جعلتهم يسارعون الى مدينة قم للتمسح باذيال الخمينى وتقبيل يده راحة وظهرا ، وهكذا اسلموا ايران الى طغيان اشرس بكثير من طغيان الشاه .. ان انه طغيان الجهالة على العلم وطغيان التعصب على التسامح وطغيان الهلوسة على العقل ..

ويجدر بى ان اشير الى اننى استعملت هنا جوزا مصطلح علمانى وعلمانية .. ففى الاسلام لايجوز تقسيم المسلمين الى رجال دين وعلمانيين وذلك لانه ليست فى الاسلام ثمة كنيسة

ولا كهانة ولا طقوس ... فكل مسلم متمتع بحواسه الخمس ومتفقه في شؤون دينه ودنياه نعم دنياه اذ ان الاسلام دين ودنيا ، يحق له القيام بوظائف الامام في الصلاة والمرشد في الحياة ، والمفتي في شؤونها .. لذلك فان النظام الهرمي المعمول به لدى غلاة الشيعة والمتطابق كليا والاكليروس من حيث مراتبه لم يعرفه الاسلام لا في فجره ولا في صدره .. ولما كنا جميعا نعرف نطاق ثقافة الخميني ونعرف ان دائرة معارفه لاتضم حتى الان الكثير الكثير من معارف العصر وعلومه ونعرف ان العالم المسلم ينبغي ان يكون اوسع شمولية من العالم اللاهوتي .. اذ ان العالم المسلم يجب ان يكون محيطا بعلوم الدين والدنيا معا .. نظرا لان الاسلام دين ونظام ونعلم مدى انطباق هذه الشروط على الخميني ونعلم مدى معاناة الآخرين لذلك كله ساتجاوز استعراض العامل الثقافي في انحراف الخميني عن الجادة الى العامل التقساني .. هذا العامل الذي استطيع تلخيصه بفطرة الخميني الحقوق حيث ان الخميني لم يدخل ايران لينشئ دولة وقيم مجتمعا اسلاميا حرا ، بل انما جاء ايران حاقدا منتقما وناسيا ان من عفا ساد ومن حلم عظم ومن تجاوز استمال القلوب ..

ايران والشاه

١ - مدخل :

من أخطر امراض النرجسية الترهل ، اى الاستهانة بالامور والرجال ، بالحوادث والاحداث ومن ابرز اعراض الترهل التعامى عن اولى القواعد الاساسية فى سياسة الشعوب وحكم الأمم ، واعنى بذلك القاعدة ، لابل القانون الحديدى القائل بان فن السياسة ، قبل ان يكون فن تحقيق الممكن ، انما هو فن التعامل وردود افعال النفس البشرية ، وتحويل هذه الردود الى افعال تبنى الوطن ، وتسند النظام ، الامر الذى يستوجب اعتماد كرامة المواطن اساسا وحيدا لعزة الوطن ، فالوطن ليس مفوهما جغرافيا ، بل انه كان ولايزال وسيبقى نظاما عضويا حيا عنوانه الانسان وفحواه كرامة الامة والفرد ..

لكن الشاه بدلا من استلهم القواعد الانفة الذكر فى حكم الشعوب الايرانية ، اقام سلطانه على ولاء القوات المسلحة لاعلى موالاة الشعب متناسيا فى ذلك ، ان اسوار التكنات لا تصد

تيارات الراى العام ، وتجعل العسكر ، ولا سيما عسكر العالم الثالث الذين يعيشون بمعزل عن امال الشعوب والامها .

ب - هيكل الجيش الايرانى :

ومن المفارقات العابثة ان هيكل جيش الشاه كان ملغوما بالغام التحاسد والتنايد ، اذ كان يتألف من حيث الواقع ، ومن حيث الامتيازات والرواتب من ثلاثة جيوش :

اولها : « الخالدون » اى الحرس الامبراطورى ، وكان هؤلاء يتمتعون بامتيازات خاصة من حيث الرواتب والتسهيلات المعيشية والبريق الاجتماعى .

اما ثانيهما : فهم المحترفون : اى الذين اتخذوا من الجندية حرفة لهم . وكان هؤلاء يشكلون العمود الفقرى للقوات المسلحة الايرانية ، وكانت امتيازاتهم دون امتيازات الحرس الامبراطورى . وذلك على الرغم من كونهم يمثلون ما نسميه بالجيش العامل او الجيش الدائم .

وكان ثالث هذه الجيوش يتألف من المجندين وضباط احتياط ويشكلون الاكثرية العددية الساحقة من القوات المسلحة الايرانية ، ولكنهم كانوا « المحرومين » بالنسبة لهؤلاء ولاولئك وذلك من حيث الراتب والتسهيلات المعيشية والمعاملة والتعامل والمكانة فى التكنة والمجتمع الايرانى .

وكانت ثمة فئة رابعة من القوات المسلحة الايرانية ، واعنى بهذه الجنود وضباط الصف من الفنيين ، كميكانيكى سلاح الطيران والمدرعات والنقل والمواصلات اللاسلكية

والسلوكية .. الخ .. ومع ان الشاه كان كريما غاية الكرم مع هؤلاء الفنيين ، وذلك لان مرتب البعض منهم كان يتساوى ومرتب العقيد في الجيش المحترف ، غير ان رتبهم كضباط صف كانت تنعكس سلبا على نفسياتهم في المجتمع العسكري بخاصة والمجتمع الايراني بعامة ، كما ان اصولهم كابناء للبرجوازية الصغيرة ، كانت تجعلهم اكثر من غيرهم استعدادا للتمرد وتقبلا للثورة ، وهكذا شاهدنا ، قبيل سقوط الشاه بايام معدودة ، ضباط الصف من الفنيين في سلاح الجو الايراني ، طليعة للمتمردين من العسكريين على الشاه ونظامه ، فجميعنا نذكر تلك المعركة الشرسة التي دارت رحاها في احدى القواعد الجوية بالقرب من طهران ، بين هؤلاء وبين الحرس الامبراطوري ، وكانت بمثابة الشرارة التي الهبت الثورة في ثكنات المجندين وضباط الاحتياط ، وانتهت الى تفكك القوات المسلحة الايرانية .

ج - التوازن والاستقطاب :

يتضح من شكل هيكل القوات المسلحة الايرانية ، ان الشاه كان يهدف من وراء تنظيمه لعسكره التنظيم الانف الوصف الى اقامة توازن تحييدي في القوات المسلحة الايرانية ، بحيث يصبح هو بذاته لسان الميزان وبيضة القبان ، والقائد العام والاعلى معا ، ولذلك ربط القوات المسلحة ربطا مباشرا بشخصه ، فكان هو الذي يبت حتى في قرارات ترفيع ضباطها وفي نقلهم وتحديد وظائفهم ومستوياتهم . وجماع القول انه كان يقوم بمهام وزير الدفاع ورئيس الاركان العامة ، ولايسمح للحكومة مجتمعة باتخاذ اى قرار يتعلق بالقوات المسلحة دون موافقته ، او

بالاخرى دون ان يكون هو بالذات المبادر باقتراح القرار وفي
اضفاء الصفة الشرعية عليه . وكان هو الذى يحدد الاعتمادات
المرصودة للقوات المسلحة فى الميزانية العامة ويقرر اوجه
صرفها ، اصف الى ذلك انه كان يتولى بنفسه فرع شؤون
الضباط ، وحتى اختيار المرشحين لدخول الكليات العسكرية
لتخريج الضباط المحترفين وضباط الاركان ، فالقوات المسلحة
الايرانية كانت فى نظر الشاه بمثابة هيكل لايجوز لاي انسان
غيره تخطى عتبته ، او الدخول اليه دون موافقته او معرفته
بذلك ..

د - الحواجز النفسية :

وبغية الاطمئنان الى الولاء المطلق للقوات المسلحة ، اقام
الشاه بين فروعها حواجز من التحاسد والريبة والحذر ،
فالحرس الامبراطورى كان يرصد الجيش المحترف . ويلجم كل
قائد يطمع او يطمح الى الاستيلاء على السلطة ، كما ان الجيش
العامل او المحترف كان بدوره القوة الرادعة للمجندين ولضباط
الاحتياط وسلاحى الطيران والبحرية وحتى الحرس
الامبراطورى زد على ذلك ان ضباط وضباط الصف القوات
الجوية كانوا ينظرون الى زملائهم فى الفروع الاخرى من القوات
المسلحة ، نظرة تكبر واستعلاء شانهم فى ذلك شأن زملائهم فى
ضباط سلاح البحرية ، وبغية دعم سلطانه على القوات المسلحة
الايرانية ، جعل الشاه من الاستخبارات العسكرية جهازا على
ارفع مستوى من التطور كفاءة وتنظيما ، وقد ربط هذا الجهاز

بشخصه ايضا . فكان يحق لرئيسه تجاوز القائد العام ورئيس الاركان ، من حيث رفع تقاريره مباشرة الى الشاه ودون اطلاق رئيسه عليها ، وكانت ابواب القصر الامبراطوري مشرعة امامه في كل دقيقة من دقائق الليل والنهار ، ولم يكن بحاجة الى استئذان او تحديد موعد للاجتماع بالشاه وكانت ميزانية هذا الجهاز ، حين اقتراحها ، لاتقبل نقاشا ، او جدلا ، ولم يكتف الشاه بذلك ، بل انشأ داخل الاستخبارات العسكرية جهازا اخر للاستخبارات ، وكانت احدى مهام هذا الجهاز الخاص مراقبة الاستخبارات العسكرية العامة ورصد عناصرها ، وكان يرأس هذا الجهاز الخاص من الاستخبارات العسكرية رئيس الغرفة العسكرية في القصر الامبراطوري ، ولقد كانت للفرع الخاص بالتوجيه المعنوي من الاستخبارات العسكرية العامة اهداف خمسة :

الاول : ترسيخ الاعتقاد بان العرش هو العامل الاوحد في الحفاظ على وحدة الشعوب الايرانية وبالتالي على وحدة ايران الجغرافية ..

والثاني : تدعيم الولاء المطلق للشاه واعتبار اي نشاط معاد له نشاطا يهدد ايران بالتفكك والامة بالانقسام .

الثالث : تبرير كل خطوة يخطوها الشاه في السياستين الداخلية والخارجية ، واحاطة صورته بهالة « القداسة » والاشراق ..

الرابع : تدعيم الحواجز النفسية الفاصلة بين اسلحة القوات الايرانية .

الخامس : اشاعة كل ما يحقق بلوغ الاهداف الاربعة الانفه
الذكر ، من حقائق او اكاذيب بين صفوف القوات المسلحة
الايرانية ..

ولا خلاف ان الشاه قد نجح في بلوغ غايته ، بالنسبة للقوات
المسلحة الايرانية ، وذلك على الرغم من محاولات اغتياله من
بعض منسوبى تلك القوات ولكن السبب الرئيسى وراء نجاحه
يعود اولا واخيرا الى ان ايران بشعوبها المختلفة لم تشهد قبل
ثورة الخمينى ثورة او اضطرابات لها من الزخوم والاستمرارية
العنيدة ما كان لثورة الخمينى منها ، لذلك لم تمتحن الاحداث
تماسك القوات الايرانية المسلحة في ساعة الشدة والحرج . علما
بان ثورة مصدق على الشاه ، وعلى الرغم من فشلها ، كانت
بمثابة النذير بان تحييد القوات المسلحة واتخاذها موقف
اللامبالى بالحفاظ على (الامبراطورية) والامبراطور امر مختوم
حالما يبلغ غليان رأى العام وتبلغ الثورة المرحلة الحرجة من
مراحلها ، وان لى فيما اذاعه الجنرال قره باغى القائد العام
للقوات المسلحة الايرانية ، عشية انهيار النظام الشاهنشاهى ،
اصدق دليل على صحة ما اورده ، فلقد اذاع الجنرال المذكور ما
يلى :

« للحيولة دون انتشار الفوضى ولمنع اراقة الدماء قرر المجلس
الاعلى للجيش الاحتفاظ بحياده ، من الخصومات السياسية
الحالية ، ولهذا فلقد اصدر امره الى كافة القطاعات العسكرية
بالعودة الى ثكناتها . »

لقد كان باستطاعة الشاه الا ينتهى الى ما انتهى اليه على

ايدى الجنرال قره باغى ، لو أنه تعمق فى دراسة تجربته والجيش ، حينما بلغت خلافاته ومصدق النقطة الحرجة فارسل مع العقيد نصيرى فى شهر اوغسطس من عام ١٩٥٢ ، كتابه الشهير الى مصدق والقاضى باقالتة من منصب رئيس مجلس الوزراء ، حيث تمرد مصدق على امر الشاه ، واضطر الشاه للفرار من ايران والبقاء خارجها ، حتى اعاده اليها كيرميت روزفلت من خلال الانقلاب الذى دبره بالتعاون والجنرال فضل الله زاهدى ، فعندما تبلغ الثورة المرحلة الحرجة لا يبقى امام القوات المسلحة سوى ثلاثة خيارات لا رابع لها . واعنى بهذه الخيارات التالية :

اولا : الدفاع عن النظام القائم وسحق التمرد والثورة ، وان هذا الخيار ممكن وناجح فقط فى حالة كون النظام القائم لم يتجاوز نقطة مرونته ولم يستاصل جميع جذوره من تربة الامة .
ثانيا : اللامبالاة بالنظام القائم وبالثورة معا ، اى الحياد بين النظام القائم وبين الثائرين عليه ، الامر الذى يعنى ، واقعا وفعلا ، اطلاق الأعنة للثورة وتحريرها من كل كابح او لجام ، وهذا الامر ينتهى عادة الى انضمام الكتلة الى الشارع .

ثالثا : صيرورة القوات المسلحة رأس رمح للثورة ، بتوجيهها الضربة القاضية على النظام ، وهذا ما رفضه الخمينى حينما جاءه مندوبون عن القوات المسلحة الايرانية ليطلبوا موافقته على انقلاب عسكري يقومون به على الشاه ونظامه .

مما ورد اعلاه يتضح بجلاء ان محاولة الاستعاضة عن الامة بالقوات المسلحة عمل احمق وغبى ، وان الاقناع لا الاخضاع هو

تربة النظام وماؤه وهواؤه ، والواقع ان الشاه المخلوع لم يدرك هذه الحقيقة الا بعد ان غادر المملكة المغربية واستقر اخيرا في مصر .. ففي مصر تبخرت اماله بقواته المسلحة ، وتبين له ان الحواجز النفسية الفاصلة بين فروعها تعمل في زمن الشدة على تحييدها ، وحتى بتنويرها ، وان حتى اقرب اصدقائه من الاجانب يراهنون دائما ، على الحصان المضمون فوزه في الحلبة .

هـ - جنون التسلح :

لايكفى لضمان ولاء القوات المسلحة ، ان يكون النظام كريما معها في المرتبات والامتيازات المعيشية ، بل يتوجب ايضا تزويدها باحدث المعدات والاسلحة ، فالسلاح نوعا وكما يشكل سيكولوجيا ، دليلا ماديا على اهتمام او عدم اهتمام النظام بجنده ، الامر الذى يكون له اعمق الاثر في دعم او اضعاف ولاء القوات المسلحة للنظام القائم ، وقد فطن الشاه الى هذه المسلمة المنطقية فاغرق قواته بطوفان من شتى الاسلحة واشدها تطورا وتعقيدا ، وقد بلغ انفاقه على التسلح ما يقارب الاربعين الف مليون دولار ، وذلك باستثناء العقود المبرمة لشراء المزيد من السلاح والتي الغتها الثورة حالما تسلمت ازمة الحكم ..

ومن المضحك المبكى ان كميات ضخمة من الاسلحة التى ابتاعها الشاه اصبحت فريسة للصدا فى مستودعاتها ، بسبب عدم توفر الكوادر البشرية القادرة على استيعابها فلقد درج الشاه على عادة استيراد السلاح قبل اعداد الانسان الذى سيستوعبه ويستخدمه ، كما ركب الشاه طموح مجنون الى جعل

القوات المسلحة الايرانية من حيث القوة ، في المرتبة الثالثة بعد الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفيتي ، وقد اعماه طموحه هذا عن اولى المسلمات المنطقية القائلة بان الجيش القوى هو ذلك الجيش المستند الى امة حرة وقوية وتملك اقتصادا قويا بحيث يكون ابرز اركانه الصناعة من متوسطة وثقيلة ، وان الجيش الذى يستورد اسلحته ، يكون قصير النفس فى القتال والصمود ، ويبقى تحت رحمة صانع السلاح ، ويربط مصير امته باهواء او سياسات ذلك الصانع ، ويرهن مقومات اقتصاد وطنه لدى الدولة الموردة للسلاح ويعطل موكب التقدم الاقتصادى والاجتماعى .

جميع هذه البدهيات تعامى عنها الشاه او تجاهلها ، فجنونه بالتسلح لم يقف عند الاسلحة التقليدية بل تجاوزها الى الاسلحة النووية ، فابتاع المفاعلات من فرنسا واقام منشاتها على الخليج العربى ، وذلك قبل ان يعد لها الكوارد البشرية اللازمة ، وهكذا نرى اليوم نظام الخمينى يوقف العمل فى تلك المفاعلات ويعرضها للبيع ، ويتفاوض وفرنسا بغية استرداد الاموال المتبقية فى ذمتها .

والحق ان المتامل فى سياسة التسلح التى انتهجها محمد رضا بهلوى ، ليسال نفسه عما اذا كان الشاه قد انطلق فى سياسته هذه من قوة الغطرسة او من غطرسة القوة فالنرجسى كما هو معروف ، غبى وغطريس ، ويعيش فى عالم لا يمت الى عالم الواقع بصلة ، ويستخدم فى النظر الى نفسه الميكروسكوب لا النظارة الطبية ومن المؤسف ان الشاه قد عثر على من يشبع نهمه الى

السلاح ، لقد وجده في شخص الرئيس نيكسون والدكتور كسينجر ، هذا اليهودي التلمودي والبهلوان في السياسة الدولية ، فالولايات المتحدة الامريكية ، لم تسمح للشاه بالاعتراف من اسلحتها قبل عهد نيكسون ووزير خارجيته كسينجر ، وذلك لان الادارات الامريكية السابقة كانت تسعى الى تحويل الانفاق الايراني عن التسلح الى المشروعات الاقتصادية ..

لكن الشاه الذي استعاض عن الامة الايرانية بالجيش ، اعتقد بان استيراد السلاح كفيل باشاعة الرخاء في ايران والرفاه بين شعوبها ، وذلك لانه اعتقد بان القوات المسلحة هي الشعوب الايرانية وقد أثار جنون الشاه بالتسلح فضول رئيس احدى الدول حين زيارته لايران فسأل الشاه عن اهدافه من وراء انفاقه الباهظ على التسلح وهو يعلم حق العلم بان قواته المسلحة مهما بلغت من الضخامة عددا وعتادا ، فانها تبقى عاجزة كليا عن صد اى هجوم سوفياتي ، واستطرد ذلك الرئيس يقول للشاه ان التوازن الدولي في المنطقة لايسمح له بالاجتياح والتوسع ، كما ان اختلاف شعوب المنطقة المجاورة لايران ، عنصر اولغة وحضارة يجعل بعد تهاوى الاستعمار من المستحيل دوليا وانسانيا استعمارها وخلص ذلك الرئيس الى القول بان سياسته هذه ستجعله اداة تستخدمها الولايات المتحدة للتهديد او القيام بالمهام التي تخدم اغراضها لا اغراضه ، لكن الشاه لم يجب عن ملاحظات ذلك الرئيس بغير الابتسام ، لكنه لم يكن بالابتسام العريض فعقله الباطن لم يكن مرتاحا الى هذا الطوفان في الاعتدة والسلاح ...

ثورة مصدق واسباب فشلها

(أ) مقدمة لابد منها :

عرف تاريخ ايران الحديثة فقط ثلاثة احداث ضخام .. الاول والثالث يشكلان منها منعطفين حاسمين في مسارها التاريخي ، ولهما مفهوم الحقبة بكل الكلمة حقبة من مفهوم تاريخي .. اما الثاني منها ، فهو بمثابة مفترق طرق بلغة النظام الشاهنشاهي في عهد وزارة مصدق ولم يحاول الشاه ان يستفيد من نذره ومؤشرات الاستفادة التي تستوجبها بصيرة الحكم ورؤية الحاكم ..

ورغبة منا في التذكير نقول ان الحدث الاول يتمثل في استيلاء رضا شاه او رضا بهلوى على عرش فارس وخلع احمد شاه وطرد سلالته سلالة الكاجار من البلاد .. وابتداع عائلة مالكة جديدة .. هي عائلة بهلوى وتبديل اسم بلاده من فارس الى ايران .. اما الحدث الثالث فيتمثل في ثورة الخميني الامر الذي سنتطرق اليه في الجزء الثاني ..

ب (من هو مصدق :

يجدر بنا وقد مرمايزيد على خمسة عشر عاما على وفاة مصدق ان نقدم الى ابناء هذا الجيل نبذة مبسرة عن حياته .. ولد مصدق في عام ١٨٨٠ في مدينة طهران ولعائلة لم تكن مستجدة في شجون السياسة ولا في شؤون الوظائف والحكم .. وبعد ان انهى دراسته الثانوية التحق بجامعة لوزان بسويسرا حيث درس الحقوق ونال درجة الدكتوراه فيها .. ومن ثم عاد الى بلاده وعين عام ١٩١٤ حاكما عاما لمقاطعة فارس وقد شغل هذا المنصب حتى عام ١٩١٩ وعندما استولى رضا شاه على السلطة عينه وزيرا للمالية ومن ثم وزيرا للخارجية وفي عام ١٩٢٣ انتخب نائبا في مجلس النواب .. وفي عام ١٩٢٥ عندما رفض علماء الدين مشروع الجمهورية الذي عرضه رضا شاه واصروا عليه بتتويج نفسه شاهها جديدا وخوله المجلس السلطة المطلقة انسحب محمد مصدق من الحياة العامة كليا .. وابتعد عن السياسة وكواليسها وانزوى في بيته حتى عام ١٩٤٤ حيث انتخب عضوا في مجلس النواب وذلك بعد خلع الحلفاء رضا بهلوى من عرشه وتنصيب ولى عهده خلفا له ..

وفي مطلع عام ١٩٤٦م اخذ الاتحاد السوفيتى يضغط الضغط الشديد على ايران بغية حصوله على امتيازات للتنقيب عن البترول في المناطق الشمالية فتصدى مصدق للضغوط السوفيتية وقاومها بكل شجاعة .. الامر الذى احاطه بهالة شعبية براقية ووفر له فرصة دخول الحياة السياسية من اوسع الابواب وبعد ان تجاوزت ايران الضغوط السوفيتية ركز مصدق جميع

نشاطاته داخل المجلس النيابى وخارجه على الداعوة الى تآميم شركة البترول الانجليزية - الايرانية .. وقد حالف النجاح دعوته هذه فاقر المجلس فى شهر اذار من عام ١٩٥١ قانونا يقضى بتآميم الشركة المذكورة وبذلك اصبح مصدق النجم الاول فى ايران وقطب الرحى فى حياتها السياسية واصبح له من التأييد الشعبى ما ارغم الشاه على تعيينه رئيسا للوزراء ..

وفى شهر اغسطس من عام ١٩٥٢ اصدر الشاه امرا باقالته من منصبه كرئيس لمجلس الوزراء الامر الذى الهب الشارع الايرانى فاضطر الشاه لمغادرة ايران .. لكن غيابه عن عرشه لم يتجاوز اياما معدودة .. حيث اعاده انقلاب عسكري شبه شعبى الى قصره فاعتقل مصدق وقدمه الى المحكمة وحكم عليه بالسجن ثلاث سنوات بتهمة الخيانة العظمى ..

وبعد ان امضى مدة الحكم فرضت عليه الإقامة الجبرية فى منزله .. حيث بقى حتى وفاته فى اليوم الخامس من شهر مارس من عام ١٩٦٧ ..

ج (مصدق ينتصر فى الجولة الاولى)

فى صبيحة احد ايام شهر اغسطس من عام ١٩٥٢ قرع الضابط فى الحرس الامبراطورى العقيد نصيرى باب مصدق وسلمه امرا امبراطوريا يقضى باقالته من منصبه كرئيس لمجلس الوزراء ومن سخرية الاحداث ان العقيد نصيرى هذا اصبح فيما بعد رئيسا لجهاز السافاك جهاز المباحث الايرانية .. وقد اشتهر بقسوة اجراءاته وشراسة سلوكه ..

وكان في طليعة القافلة الاولى من القوافل التي اعدمها
الخميني ..

رفض مصدق الامتثال لأمر الشاه واحتكم الى الشارع
الايراني فالتهمت طهران واشتعلت ايران وتدفقت الجماهير
سيولا في الشوارع وحطمت تماثيل والد الشاه .. وتعالى
الاصوات مطالبة بخلع محمد رضا بهلوى .. واعلان الجمهورية
ووقفت القوات المسلحة شعب الشاه وامته .. تتفرج على
ما يحدث من وراء اسوار ثكناتها فالغضب الشعبى كان اشد
واقوى بكثير من ان يترك لها فرصة الانتصار للشاه او للتعبير عن
ولائها لنظامه .. حتى داخل ثكناتها وهكذا وجد الشاه نفسه
مضطرا لمغادرة ايران تاركا لاختاء مصدق وباطنية اية الله
الكاشانى ورعونة اليسار الايراني مهمة انقاذه من المازق الخطير
الذى ال اليه ..

انتصر مصدق على الشاه في الجولة الاولى لكن انتصاره لم
يكن بالضربة القاضية الامر الذى اتاح للشاه ولاعوانه فرصة
لالتقاط انفاسهم واستغلال اخطاء العهد الجديد واللعب على
التناقضات القائمة بين اركانه والكر على مصدق من جديد ..
ويجدر بنا هنا بغية فهم ثورة الخمينى وتكتيكها البارع وتفهم
دهاء قائدها ومكره ومن ثم عوامل انحرافها عن الجادة .. ان
نتطرق الى السببين الرئيسيين الكامنين وراء انتصار مصدق والى
السببين الآخرين في هزيمته المنكرة امام الشاه ..

(د- سبب الانتصار :

لا خلاف ان السبب الاول والرئيسي الكامن وراء انتصار مصدق يعود الى براعته الفائقة في توحيد كافة الشعوب الايرانية ولاسيما جماهير طهران حول شعار واحد كانت له صفة الشمول وقدرة خارقة على استهواء الجميع وحشدهم واعنى بهذا شعار تأميم شركة الانجلو ايرانية وذلك لان هذا الشعار كان يعنى بالنسبة للانسان الايراني بصورة عامة التحرر من السيطرة الاجنبية لا الرغبة في الارتفاع بعائدات البترول بغية الارتفاع بالمستوى المعيشي للفرد ، ولهذا السبب كان ذلك الشعار يعبر من حيث الواقع عن تطلعات روحية الى التحرر والحرية .. لا عن تطلعات الى معيشة افضل فكان بذلك ذا مغزى ميثافيزقي لا مادي الامر الذي حقنه بزخوم هائلة جمعت بين المؤمن والملاح بين المحافظ والراديكالي بين رجل الدين ورجل السياسة بين المسجد والجامعة بين ابناء المدن وابناء الارياف وهكذا وجدت القوات المسلحة الايرانية انها لا تستطيع التعبير عن ولائها للشاه .. باكثر عن اتخاذ موقف الحياد بين الشاه ومصدق .. الامر الذي كان سيسقطه الخميني مستقبلا فيما بعد الى ابعد الحدود وكان سينجح كل النجاح في استغلاله ..

اما السبب الثاني وراء انتصار مصدق فهو سبب خارجي محض ، ويعود الى طموحات الدولتين العظميين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي والى خططهما الرامية الى السيطرة على الكرة الارضية والتحكم بمصائر شعوبها ..

وقبل ان نتطرق الى عرض السبب الخارجي او الدولي وراء

انتصار مصدق في الجولة الاولى على الشاه ارجو من القارىء الكريم الا يصدر حكمه على ماسأورده قبل الانتهاء من قراءة حديثي هذا اذ اننى اعتمد هنا تسلسل منطق الاحداث التاريخية من حيث الفعل ورد الفعل ..

اسفرت الحرب العالمية الثانية عن تجسد دولتين عظميين هما الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفيتي وعن تدهور بريطانيا وفرنسا واستقرارهما في المرتبة الثالثة لا المرتبة الثانية .. كما قد يخيّل الى البعض وماكادت الحرب المذكورة تضع اوزارها حتى اسفر الاتحاد السوفيتي عن وجه استعماري واضح .. وصورة طبق الاصل عن الوجه الذي كان للاستعمار في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، اى الاستعمار المعتمد القوة المادية العارية اسلوبا وحيدا للتعامل والشعوب ، اذا خرجت على المسارات المرسومة لها .. ولنا فيما حدث في هنغاريا وتشيكوسلوفاكيا وفي افغانستان واخيرا في بولندا الادلة القاطعة على ما ذكرت ..

اما الولايات المتحدة الامريكية فانها تختلف عن الاتحاد السوفيتي اسلوبا ولكنها تلتقى معه غاية وهدفا .. علما بان منطلق الاتحاد السوفيتي هو الرغبة في السيطرة بينما حافز الولايات المتحدة هو الرغبة في الربح .. لذلك فان العوامل الاقتصادية المحضة هي التي تحدد السياسة الامريكية بينما العوامل السياسية او مايسميه اليساريون بالعوامل الايديولوجية هي التي تحدد سياسة التجارة الخارجية السوفيتية وعلاقاتها الاقتصادية ببقية اقطار العالم خارج

الامبراطورية السوفيتية .. لذلك فان للسلعة السوفيتية سعرا سياسيا بينما ان للسلعة الامريكية سعرا اقتصاديا محضا .. هذا استهلال لابد منه بغية فهم خلفيات السبب الثانى السبب الدولى وراء انتصار مصدق ..

والحق ان الحرب الباردة التى دارت رحاها بين الولايات الامريكية وبين الاتحاد السوفيتى كانت باردة تماما .. لكن الحرب الخفية التى دارت بين امريكا وحلفائها من بريطانيا وفرنسا وسواهما كانت حربا شديدة الحرارة اقتصاديا وسياسيا .. فالولايات المتحدة الامريكية اعتبرت نفسها فى اعقاب الحرب العالمية الثانية الوريث الشرعى للامبراطوريات البريطانية والفرنسية والايطالية واليابانية .. وهى لم تكن ترغب فى وراثة تركاتها السياسية .. من سيطرة وحكم مباشرين بل فقط فى وراثة كل مالبريطانيا وفرنسا وايطاليا واليابان من مصالح واستثمارات اقتصادية ولذلك صاح تشرشل بعد هزيمة حزب العمال وتعيينه رئيسا محافظا للوزراء وقال غاضبا : لم اتسلم هذا المنصب كى اصفى الامبراطورية البريطانية ..

ولما كانت ايران فى عهد مصدق ، بلدا يكاد يكون مغلقا فى وجه الجميع ماعدا بريطانيا .. وكان مصدق ابرز القادة الذين تصدوا لمحاربة طلب السوفييت امتيازات للتنقيب عن البترول فى المناطق الشمالية الايرانية .. لذلك كانت الولايات المتحدة الامريكية تنظر اليه بعين العطف .. بدليل الاستقبال الذى لاقاه فى زيارته لواشنطن بعد تأميمه لشركة البترول الانجلو ايرانية وبدليل تبنيه الكونسريتوم الذى تشكل لانتاج البترول الايرانى

وتسويقه بعد هزيمة مصدق وعودة الشاه وبدليل اتخاذ الشاه بعد عودته من الولايات المتحدة الامريكية محورا وحيدا تدور عليه سياسته الاقتصادية والتسليحية والخارجية .. ولكن لماذا خذلت الولايات المتحدة الامريكية مصدق وتخلت عنه كما خذلت الشاه فيما بعد حيث انها لم تسمح للشاه حتى بالاقامة في اراضيها ..

هـ) اسباب الهزيمة :

ان وراء هزيمة مصدق سببين وهما ايضا داخلي وخارجي وان للسبب الداخلي جذورا ثلاثة هي :

١) اخطاء مصدق ..

٢) باطنية آية الله الكاشاني ..

٣) رعونة اليسار الايراني ..

والحق ان سقوط مصدق ليقدم لنا الامثلة لا بل المقولة القائلة ان التفاف الشعب حول آية حركة هو الضامن الوحيد لنجاحها وبقائها .. وان انفضاض الشعب من حولها يستتبع فورا سقوطها وزوالها .. ولقد وعى الخميني في مطلع ثورته هذه الامثلة .. ولكن خمرة السلطان وشهوة الانتقام قد طمستا امام ناظره عظمات تلك الامثلة وعبرها .. وهذا ماسنتطرق اليه فيما بعد ..

١) السبب الداخلي :

لم يكد مصدق يرى ايران بدون شاه حتى اندفع محاولا ان

يكون ايران والشاه معا ، فالشعب قد كرسه حاكما وحزبه كرسه شعبا ، فاصبح اى نقد يوجهه اليه حتى الصديق العاقل تعتبره الجبهة الوطنية تجنيا على الشعوب الايرانية .. ومن المحزن ان انتصار مصدق قد حرر انصاره واتباعه وحواشيه من كل كابح او قيد .. فانطلقوا يوسعون فى صفوف الجبهة الوطنية وشرعوا ابواب حزبهم امام كل نهاز للفرص .. فتحلق حول مصدق الاتباع لا الانصار والعبيد لا الاحرار فكانوا بذلك لا يزيّدون كفاءة ولا شجاعة ولا نصلا عن ذباب يحط على قرص غسل ومن المحزن ان انتصار مصدق اغلق بابه امام الطموح وشرعها على مصراعيها امام الطمع فانزوى العاقل والمناضل وطفأ النفعى والجاهل .. وقد اثارت قذارات هؤلاء الذعر فى قلوب الفعاليات السياسية .. فرجال السياسة التقليديون رأوا فى المتحلقين حول مصدق متطفلين على السياسة ولكنهم كانوا فى نظرهم المتطفلين الذين يشكلون خطرا داهما على مصالحهم ومستقبلهم السياسى ..

وليزيد القدر فى طين مصدق بلة ، اندس فى صفوف الجبهة الوطنية شيوعيون ملتزمون بكل شىء ماعدا العقل بالاضافة الى جميع ضروب الثوريين الذين يمثلون مرضى العالم الثالث واقاعيه وقد وجد جميع هؤلاء تشجيعا لا بل تحريضا من الاتحاد السوفيتى ، على السير بمصدق الى نقطة اللا عودة .. ومنعطف اللا رجوع الامر الذى دفع باية الله الكاشانى وبالتيار الذى يمثلته الى اعادة تقويم مواقفه من مصدق وجبهته .. فلم يكن الكاشانى ولا تياره يريدان ان يكون مصدق قائد الشعب الوحيد

وان تكون جبهته الوطنية البديل للحوزة العلمية والحسينية ..
وهكذا رأى الكاشانى وتياره ان الاستمرار فى مساندة مصدق
سيسفر فقط عن استبدال العلمانية الشاهية بليبرالية هلامية
تتجاوزها الايديولوجيات الوافدة .. من كل جانب وصوب ..
وتفوت على اية الله الكاشانى اغراضه فانقض بقضه وقضيضه
على مصدق ومد بيديه الى كل عازم على مقاومة مصدق واسقاط
جبهته الوطنية وبذلك فقد مصدق القوة الرئيسية القادرة على
استنفار الجماهير وتنظيمها فى مظاهرات تكتسح شوارع طهران
والمدن الايرانية الاخرى .. وهكذا وجد مصدق نفسه مرغما على
توثيق تحالفاته مع الفئات الثورية .. بكل اشكالها وانواعها
وايديولوجياتها لكن هذه الفئات كانت ولا تزال فى العالم الثالث
تفتقر الى الجذور فى التربة الشعبية وغير ذات اثر او قدرة على
النفوذ الى وجدان الامة وضميرها لذلك كانت عبئا على مصدق
وجبهته .. وعاملا اساسيا فى اضعافه جماهيريا الامر الذى اتاح
لاعدائه الاستفراد به .. وجعل الولايات المتحدة الامريكية تتخذ
قرارها الحاسم بالعودة الى الشاه ونظامه .. فهى حينما عازمت
على تصفية المصالح البريطانية فى ايران ارادت ان تكون الوريث
الوحيد للتركة البريطانية .. لا ان تؤول هذه التركة فى نهاية الامر
الى الاتحاد السوفيتى فالسياسة الامريكية بعد ان اتخذت من
التوسع التجارى والاستقرار النقدى والاستثمار الدولى
منطلقاتها الرئيسية اصبح لزاما عليها ان توفر المناخ الصحى
لهذه المنطلقات الثلاثة بغية الانتقال بها من النظرية الى التطبيق
لذلك وبعد ان زلزلت اركان مصدق الشعبية واصبح منعظا

خطرا نحو اليسار غدا من المتوقع ومن السهل ايضا اسقاطه
وطى كتابه متنا وغلافا ..

تهللت الدوائر البريطانية فرحا حينما علمت بان الولايات
المتحدة الامريكية قد قررت اخيرا العمل على اسقاط مصدق
وعهده .. فمصدق لم يعد يشكل خطرا فقط على المطاعم
الاقتصادية الامريكية بل وايضا على الاستراتيجية الامنية
الامريكية فى المنطقة .. فلقد علمتها تجاربها .. والشيوعية
الدولية ان الشيوعيين ينادون دائما بانشاء جبهة وطنية تضم
جميع الفئات السياسية المتفقة مرحليا وبعد ان تتألف مثل هذه
الجبهة وتستولى على السلطة ينقض الشيوعيون على جميع
المتحالفين معهم داخل الجبهة ويصفونهم سياسيا وجسديا ..
فالشيوعيون داخل مثل تلك الجبهة ولاسيما فى العالم الثالث
يكونون من بين فئات الجبهة الفئة الوحيدة ذات الايديولوجية
الواضحة والتنظيم المنضبط والدعوم بالامكانات الشيوعية
الدولية الهائلة المادية والمعنوية وعلى مستوى عالمى لا داخل
فقط .. وقد وجدت الولايات المتحدة الامريكية بعد ان انكمش
تيار اية الله الكاشانى عن تأييد مصدق لا بل وانتقل الى
مناهضته وكذلك فعل ساسة ايران التقليديون ايضا ، وبعد ان
استقطب مصدق الثوريين واستقطبه الثوريون اقول وجدت
امريكا ان جبهة مصدق الوطنية لن تكون فى نهاية المطاف افضل
مصيبرا من الجبهة الوطنية التشيكوسلوفاكية والبولندية ..
ايضا .. ورأت ان مصدق بعد ان اقتلع الكاشانى والساسة
التقليديون جذوره وجذور جبهته الوطنية من التربة الشعبية

اصبح هدفا قريبا المجال يسير المنال .. وأن نفحة هواء لا ربح
كافية للاطاحة به جبهة وزعيما ..

(و) مراسم الدفن :

لا خلاف ان مصدق سقط مصعوقا بتيار اية الله الكاشاني
ذلك التيار ذى التوتر العالى فبعد تحول الكاشاني عنه خبا بريقه
وماتت جبهته فارسلت الولايات المتحدة الامريكية بكبير عملاء
الاستخبارات المركزية فى الشرق الاوسط المستر كيرميت روزفلت
الى طهران ليضع اللمسات الاخيرة على مراسم تشييع الجنازة
وليأمن دفن الميت والمصالح البريطانية معا فى قبر واحد ..

حط كيرميت روزفلت فى طهران واستقبله اردشير زاهدى نجل
الجنرال آل فضل الله زاهدى وسار به الى ابيه واتفق روزفلت
والجنرال زاهدى وزير داخلية مصدق سابقا .. على كيفية تشييع
الجنازة وعلى الاشخاص المشيعين الذين كانوا خليطا من
عسكريين ومدنيين ومزيجا غريبا من زعماء وجماهير دهماء ..
وانطلق موكب المشيعين من بعض الثكنات والحوزات والحسينية
ومن اماكن اخرى نعف عن ذكرها .. وتعالى الهتافات بحياة
الشاه وانصبت اللعنات على الميت ..

ولم تتجاوز تكاليف الجنازة واجور المشيعين المليون من
الدولارات الامريكية كان كيرميت روزفلت قد حملها معه الى
طهران ..

وبعد فترة وجيزة مرت على دفن الميت استيقظ المنذهلون وهذا
المنفعلون ونهد المحللون الى التدقيق فى الخبائر والارباح

وتحديد هويات الراحين والراسرين فتابن لهم ان بريطانيا لم
تكن من الراحين فعاد الوجود ليعلو الوجود المتهللة فى دوانج
ستريت لكن القدر كان يعد لبريطانيا ضربة اشد واقسى من
الضربة التى نزلت بها فى ايران .. ففى عام ١٩٥٦ حينما غزت
بريطانيا وفرنسا واسرائيل مصر ، وجد الرئيس دوايت ايزنهاور
ولاسيما وزير خارجيته جون فوستردلس .. ان الفرصة الذهبية
قد حانت لتكنيس النفوذيين البريطانى والفرنسى من الشرق
الاطوسط وكذلك من المغرب العربى ايضا .. ولتسجيل تركات
الامبراطوريتين الانجليزية والفرنسية باسم الولايات المتحدة
الامريكية ..

لذلك فاننى اعتقد بان موقف الادارة الامريكية فى عهد
ايزنهاور وارغامها القوات البريطانية والفرنسية والاسرائيلية
على الانسحاب من الاراضى المصرية .. لم يكن انتصارا لشرعة
الامم المتحدة وللبادئ الانسانية فى السياسة الدولية .. بقدر
ماكان اعلانا عن هوية الوارث الجديد لكافة التركات الاوربية ..

الشاه بعد مصدق

عودة الشاه :

خرجت الجموع تستقبل الشاه وامتزجت هتافات المنتفعين بتهاليل المنافقين وصيحات الساخطين بلعنات المتساخطين على مصدق وجبهته .. ودخل الشاه قصر المرمز واستوى على عرش الطاووس وتحلق حوله النفعى والناصر ، فكان ذاك يتحدث بلسان الجيب ، وكان هذا يتكلم بوجيب القلب .. وتدافع صيادو الفرص بالمناكب يشقون طريقهم الى عتبات العرش فعودة الشاه فرصة لا تتكرر ابدا .. ووقفت الحقيقة عند اسوار القصر ، تنتظر من العقل ان يدعوها ومن العبرة ان تستدعيها فهي لا تتطفل بل تدعى ففى احسانها يتخلق جنين المستقبل من نطفة الماضى وعلقة الحاضر .. وهى التى حبلت بمصدق ثم اسقطته .. وهى التى اسقطت الشاه ثم اعادته لذلك فهى تعظ وتأمّر ، وعلى الشاه ان يتعظ ويطيع ، فهى التى تخلق الواقع ، وتحدد مسار الوقائع

وليس ثمة سبيل الى التمرد على اوامرها فمن يتمرّد عليها او يستخف بها يحكم عليه المستقبل بالاسقاط وهى قبل وفوق ذلك ، كل متكامل لا يقبل التجزىء .. فعلى الشاه ان يأخذ بها ككل او ان يهملها كليا .. اما اذا اعتقد بان بعضها قد يحل مشكلته فعندئذ سيحولها عامل الزمن الى كارثة .. ومن طبيعة الحقيقة انها حينما تعظ تهمس بعظاتها همسا ، لذلك يتوجب ان تكون للشاه اذنان ارهفتها ارادة العقل لا غطسة الامبراطور كى لا يسمح بسخط المنافقين بخنق همسات الحقيقة ، لأن الحقيقة ستتحول عندئذ الى واقع يرعد ويزبد ويرجم الشاه بحمم البراكين ... وهكذا وجدت الحقيقة تهمس فى اذن الشاه معا ، وتعظه قائلة :

اولا : ان تيار الشعب الايرانى يختلف تماما عن التيار الطوى الذى يرتد مارا تحت سطح الماء بعدما تنكسر موجاته على الشاطئء وذلك لان هذا التيار لا يرتد ابدا حتى حينما تنكسر امواجه بل يتوقف الى حين كى يراجع حساباته ويعيد حشد صفوفه واستجماع وتنظيم المزيد من القوة والزخوم ومن ثم ينطلق من جديد ومن حيث توقف الى الامام ، ولذلك فان الحاكم العاقل هو ذاك الذى يمطى تيار الشعوب لاذك الذى ينهد الى صده ، معتقدا بان التيار قد انقطع الى الابد بعدما تكسرت امواجه على شواطىء السلطة ..

وتعظه ثانيا : انه ليس بالخبز وحده يحيا الانسان وان ضمير الامة لامعدتها هو المحرك والموجه للامة فردا وشعبا ،

وهو الوحيد القادر على توفير التناغم والانسجام بينها وبين النظام ...

وتعظه ثالثا : ان الاسلام لا العلمانية هو وحده القدير على اشاعة الاستقرار للحكم والرخاء للشعوب الايرانية فهو وحده القدير على توفير الخبز للفرد والابقاء على ضمير الانسان ، لامعدته ، ميزانا للقيم ومنبعا خالدا للزخوم والتسامى ، فالضمير هو الذى يضيفى العظمة على الرجال والاعمال اما المعدة فقد تضيفى عليهم وعليها ، كل صفات الضخامة وشتان مابين العظمة وبين الضخامة من فوارق

وتعظه رابعا : ان من عاد بك الى كرسى الامبراطورية هو حيرة الشعب الايرانى وعدم وضوح رؤيته وكذلك اخطاء مصدق ، ولم تعد بك المؤامرة الامريكية البريطانية ولا دسائس كيرميت روزفلت ولا حتى جند الجنرال فضل الله زهدى .. فحيرة الشعب وعدم وضوح رؤيته للمستقبل يمدان فى اجل النظام المحتضر .

وتعظه خامسا : ان العفو من شيم الاقوياء وان الشجاعة من شيم الكرام ، وان كل طاعية حقوق جبان ، وان الدولة تعاقب ولا تتأثر ، وتحاور ولا تنهر ، وان أبناء الشعب هم مواطنونك لارعايك ، وان منطق الضرورة يجب ان يكون ويبقى خاضعا لمنطق الرحمة .. فهذا هو الفارق الجوهرى بين الاستعمار والاستقلال

وتعظه سادسا : ان من الاهداف الاستراتيجية الاساسية للدول الكبرى ان تعيش انظمة الحكم فى العالم الثالث فى غربة

تامة عن شعوبها ،وان تتحول هذه الغربية من خلال الممارسة الى
عداء مستحكم بين الانظمة وبين الشعوب بغية ابقاء العالم
الثالث متمحورا عليها ودائرا في فلكها ، وان تحقق هذه الغاية
مرهون كليا بانسلاخ الشعوب عن انظمتها ..

وتعظه سابعا : هناك المنتفعون بنظامك ، وهناك المخلصون
لعرشك ، فلتقرب هؤلاء منك ولتبعد اولئك عنك فهؤلاء هم اركان
عرشك ، واولئك هم السوس الذى ينخر اركانه ، ويقوض
بنيانه .. ولتحذر فكلام اولئك معسول وكلام هؤلاء مرير
كالعقم ، ولتختر مرارة الحاضر لانها عسل المستقبل ، ولتنبذ
عسل الحاضر لانه علقم المستقبل لابل سمومه .. تلك كانت
العظومات السبع التى همست بها الحقيقة فى اذنى الشاه فهل
اتعظ بها واتخذها دستورا لحكمه ونهجا لسلوكه ؟...

ب (مرحلة انتقال : بعد ان استتب الامر للشاه ، واخذ
يمعن النظر فى الاسباب التى ادت الى انتصار مصدق فى الجولة
الاولى والى هزيمته فى تلك الجولة ، خيل اليه انها تعود فقط الى
حقائق اربعة

الاولى : موقف التيار الدينى او بالاحرى العداء المستحكم
بين المسجد وبين الامبراطور فهذا التيار كما نذكره هو الذى ارتفع
بمصدق ومن ثم اسقطه ...

الثانية : ضعف اجهزة الامن الداخلى ، وضرورة ربط
القوات المسلحة بالامبراطور ، ربطا عضويا يؤمن انتصارها له
فى جميع الاحوال والظروف ..

الثالثة : النظام الاقتصادى البالى الذى ورثه عن ابيه ، حيث

ان هذا النظام امسى بمسيس الحاجة الى الاصلاح والى توسيع ميادين فاعلياته ..

الرابعة : ضرورة ايجاد محور دولى يتمحور عليه فى السياسة الخارجية ويمده بالعون فى سياسته الداخلية ولاسيما فى مناهجه الاقتصادية والاجتماعية والتسليحية والأمنية .. وقد اختار الشاه بحكم طبيعة نظامه ، وبحكم الواقع الدولى وبحكم مستوجبات تنفيذ مناهجه ، الولايات المتحدة الامريكية ان تكون ذلك المحور .. عمد الشاه خلال المرحلة الانتقالية الى معالجة قضايا الاقتصاد الايرانى التعامل والحقائق الاولى والثانية والرابعة .. فلقد رأى ان الاصلاح الاقتصادى ينبغى ان يسبقه المناخ السياسى والامنى المطلوب . وقد وجد ان النهج العلمانى الذى انتهجه والده من قبله ، هو النهج الذى ينبغى ان يتبعه ويتابعه ويستمر فى السير على هديه الامر الذى جعله يعمد بعد سقوط مصدق الى سياسة اشد تصلبا وعنفا والتيار الدينى .. وقد عزم على حصر نشاطات رجال الدين بالشئون الدينية المحضة ، والقضاء كليا على كل مالهم من نفوذ فى الحياتين السياسية والاجتماعية .. فاصدر تشريعا يقضى باستيلاء وزارة التعليم على جميع المدارس التى يملكها ويديرها رجال الدين ، واخضاع هذه المدارس على جميع درجاتها لمناهج التعليم الايرانية .. واتبع هذا التشريع بتشريع اخر يقضى باستيلاء الدولة على مساحات واسعة من الاراضى الزراعية العائد ملكيتها الى الاوقاف الدينية بالاضافة الى نزع ملكية الاوقاف لعقارات اخرى .. وقد رافق هذه الاجراءات نشاط بوليسى شديد

استهدف قمع العناصر والجمعيات المتعاطفة والتيار الدينى ، وقد بلغ النشاط البوليسى ذروته باعدام صفوى زعيم جمعية فدائيان اسلام .. كما استصدر الشاه قانونا يقضى بمعاقبة تجار المخدرات ومهربىها بالاعدام .. وقد اعدم فى ظلال هذا القانون عددا عديدا من عناصر المعارضة السياسية بتهمة الاتجار بالمخدرات او تهريبها .. يتضح مما ورد اعلاه ان الشاه قد اعلن بعد عودته الحرب الشاملة على التيار الدينى ومؤسساته وأعلن انه لاهدنة او صلح بين المسجد والامبراطور ولا بين الثكنة والحسينية ، وان الصراع سيستمر ويزداد ضراوة ، حتى يقضى احدهما على الآخر .. ولقد تصدى رجال الدين لمقاومة الشاه وكان ابرز من تصدى له اية الله الخمينى الذى القى عليه القبض وكاد يحكم عليه بالاعدام لولا تدخل اية الله شريعة مدارى .. حيث أمن للخمينى الحصول على مرتبة اية الله الامر الذى انقذه من الاعداء ، فاكفى الشاه بنفيه الى تركيا حيث انتقل منها الخمينى بعد فترة قصيرة الى (النجف) فى العراق ، فامضى فى الديار العراقية قرابة ثلاث عشرة سنة منفيا عن بلاده ..

ج (قمع لاحوار : عزم الشاه بعد عودته على النهج مع جميع معارضيه نهجا قمعيا لاتصالها ، فأنشأ دائرة مباحث امن الدولة التى اصبحت فيما بعد ، شهيرة اوسع شهره باسم السافاك وكانت لها الاولوية من اهتمامه فاستدعى الخبراء فى هذا الميدان من الولايات المتحدة ومن اسرائيل ايضا ، وزودها بجميع المعدات الحديثة من الكترونية ، وسواها المرصودة

للتجسس على المواطن ومراقبة نشاطات البشر وكان للسفك
بندان في ميزانية الدولة العامة .. الاول منهما علنى وآخر سرى
ومدرج ضمن الاعتمادات المخصصة للبلات الامبراطورى وقد
اطلق الشاه يدها في التعامل مع المواطنين .. وهكذا وجدت
السفك تقوم احيانا بدور الشرطة والقاضى والجلاد حيث انه
كان من المحظور عمليا اقول عمليا على القضاء ردع او قمع او
معاقبة اى من افرادها في حالة خروجه على القانون ، اذ ان الشاه
جعل السفك من الوجهة العملية مرتبطة ارتباطا مباشرا
بشخصه .. وكان للسفك سجونها الخاصة بها واقبية للتوقيف
في مختلف احياء طهران والمدن الايرانية الاخرى .. وكان حتى
الموظف من الحلقة الوسطى من موظفيها مخولا من الوجهة
العملية باعتقال اى مواطن وزجه في السجن ، والتحقيق معه
واخضاعه لشتى وسائل التعذيب النفسانى والجسدى معا ،
بحيث امست تجاوزاتها على القانون وانحرافاتهما عن المهمة
الاساسية الموكلة اليها ، الأمر الطبيعى لا الشاذ ، ولم يمض
طويل الزمن حتى اصبح ذكر اسم (السفك) يثير الرعب في
قلب المواطن الايرانى ، ولكنه كان في الوقت ذاته يستحث فيه
التربص والحدق ، ويشبذ ارادة الثأر في اعماقه ، ولذلك كان
الجنرال نصيرى رئيس السفك ، في طليعة القافلة الاولى التى
اعدمها الخمينى ، وقد بقيت جثته ملقاة في احد شوارع طهران ،
طوال ثلاثة ايام كأنها نفاية تعمد او أهمل عامل التنظيفات
تكليسها من الشارع ، فالانسان المواطن لابد من ان يوهب ذات
يوم المقدرة على المغفرة او الانتقام ولكن نادرا ما يغفر الانتقام ..

والحق ان (السافاك) لم تسيء فقط الى المواطن الايراني ، بل كانت اساءتها الى الشاه ونظامه اشد ضررا ، اذ سرعان ما اصبحت منبرا رئيسيا يعتليه كل معارض او هدام يتوخى التعريض بالشاه والتنديد بنظامه والتحريض على الثورة .. ومن المحزن ان الشاه لم يفتن الى اضرار السافاك الا بعد فوات الاوان بعد اشتعال فتيل الثورة ، وصيرورة انفجارها امرا محتوما ، حيث زج بالجنرال نصيري في السجن ، معتقدا بان اعتقال رئيس السافاك قد يساعد على اخماد البركان .. ناهيك بان اولى مبادرات شاهبور بختيار اخر رئيس وزراء للشاه ، جاءت متمثلة في اعلانه عن حل السافاك مؤسسة ونهجا .. ولكن حتى هذه المبادرة كانت اعجز بكثير من ان تمحو ذكرى الجرائم التي طبعتها الحقيقة والمبالغة والاختلاق على اذهان الناس .. فالسافاك كانت بالنسبة الى الايرانيين ترمز الى ماكان يرمز اليه سجن الباستيل في حقبة الثورة الفرنسية اذ انها كانت رمز الظلم والاذلال وامتهان كرامة المواطن .. ولم تكتف السافاك بان تكون فقط المستنهض لهمم الشعب الايراني على الثورة على الشاه بل كانت ايضا المضلل للشاه ونظامه ، فنصف تقاريرها كان اكاذيب والنصف الآخر كان محاطا بالشك من كل جانب ، وعلى الرغم من انها كانت في تقاريرها تهدف الى فرض حياة من قلق دائم على الشاه ، كي تبرر ضرورة بقائها ، وتبرر تجاوزاتها وانحرافات غير انها حرصت ايضا على مزج سمومها هذه بسموم اشد فتكا من اجراءاتها القمعية الشرسة .. فكانت تصور للشاه ان المعارضة والمعارضين لايمثلون غير فئة قليلة من الشعب وان

الأكثريّة الساحقة من الأمة الإيرانيّة تلهج بحمده بكرة واصيلا ،
الامر الذي لم يتح للشاه اية فرصة لمراجعة ذاته ، ولمراجعة
حساباته واجراءاته على اضواء ردود الافعال الشعبيّة ، والحق
ان طبيعة الشاه بالذات كانت مفطورة على تصديق مختلقات
السافاك عن رضا الشعب وولائه للامبراطور ، فالنرجسى يتعبد
لذاته في هيكل الغطرسة والاستعلاء ويصدق الكاذب ويكذب
الصادق اذا جاء الكذب متفقا ومنطق الغطرسة وكان الصدق
منافيا لنازع الاستعلاء وهكذا اغمضت (السافاك) عيني
الشاه عن رؤية الواقع وساقته الى العيش في عالم الوهم ،
فدأهمته الثورة لتعيده من عالم السافاك الى عالم الأمة الإيرانيّة
الذي لم يعرفه الا في منافيه ، في مصر والمغرب وجزر الباهماس
والمكسيك وبناما ومن ثم في مصر حيث انه لولا الرئيس السادات
لما كان سيعثر على قبر يرقد فيه .. تلك كانت سلبيات سياسة
الشاه بعد عودته الى عرشه فهل كانت ثمة ايجابيات ايضا ؟ ..

امبراطورية الشاه

(١) - الاستقطاب :

اسدل الستار على مصدق وجبهته وانسحب اليسار والشيوعيون الى سراديبهم ، وانجزر المد الدينى . وعاد المثالى والطامع والعميل والطامح كل الى مستقره وخلت الشوارع من ايران وشعوبها ، واسترخى كل مافى ومن فى طهران ، فلقد آن للجماهير ان تستريح وتريح ، بعد عواصف عاتية عن التخبیط والانفعال ، فاستأثر الشاه بالسلطات الثلاث ، التشريعية والتنفيذية والقضائية ، واصبح من حيث الواقع ، الامبراطور والمشرع والقاضى ، واطمان الى رسوخ سلطانه واحس بحريته فى التحرك والحركة كيفما شاء ... واينما شاء ولما كانت السياسة الخارجية لكل دولة ، امرا مرهونا بعوامل اربعة هى :

الاول : السياسة الداخلية بكل ميادينها

الثانى : الجغرافيا السياسية .

الثالث : المطامح او المخاوف القومية .

الرابع : النوعية الايدلوجية للنظام القائم .

لذلك وجد ان الولايات المتحدة الامريكية هى افضل حليف له بحكم الطبيعة والظروف معا . فاتجه نحوها واتخذ منها قطبا لرحاه فهى :

اولا : معين لاينضب للتصنيع والتسليح .

وهى ثانيا : السد المنيع الاوحد امام الاتحاد السوفيتى ،
ولاسيما ان لايران حدودا مشتركة والسوفيت تتجاوز الالف
والخمسمائة كيلومترا طولا

وهى ثالثا : الملاذ الامين من مطامع السوفيت فى اذربيجان
وغيرها من الاقاليم الايرانية بالاضافة الى كونها قوة وسندا
للشاه فى مطامحه الى التوسع والهيمنة وتاكيد وجوده الدولى .

وهى رابعا : بحكم طبيعة نظامها ، معادية للشيوعية فلسفة
ونظاما ومنهجيا . وهكذا وجدت الشاه فى المرحلة الاولى من
سياسته الخارجية ، الى مرحلة احتضانه لامريكا ، واحتضان
امريكا له ، يذكرنا بسياسة رجل الدولة النمساوى ، مترنيخ
وبمواقفه فى مؤتمر فيينا بعد هزيمة نابليون فى معركة واترلو . اذ
اصبح الشاه الكاهن الاكبر لليمين الدولى العلمانى المتطرف فى
الشرق الاوسط ، ولاسيما فى ميدان الاحلاف العسكرية حيث
اصبحت ايران العضو الاساسى فى حلف بغداد ، والعضو
المؤسس فى حلف السنتو ، واصبح الشاه البريمودونا بالنسبة
للسياسة الامريكية فى المنطقة وذلك لان الولايات المتحدة
الامريكية وجدت فى الشاه العاهل القادر على الابقاء للمتطلبات
الاساسية لسياستها فى المنطقة واعنى بهذا المتطلبات التالية .. :
(١) الحليف على الاتحاد السوفيتى وعلى مناهضة الشيوعية
الدولية معا .

(٢) العامل الهام فى تصفية تركة الامبراطورية البريطانية فى
المنطقة لحساب الولايات المتحدة الامريكية .

٢) الشرطى الكفو والمنضب لحراسة الخليج العربى وحقول
بتروله .

٤) الجدار الهام فى جدران المحجر الوقائى المنوى حجر العالم
العربى الشرق اوسطى داخله ويجدر بنا ان نشير هنا الى ان
زخومية التعاون ، او بالاحرى الاستزلام الشاهنشاهى للولايات
المتحدة الامريكية بلغت اشدّها فى عهد الرئيس نيكسون
وكيسنجر الذى عرف كيف يعزف بمهارة على قيثاره مطامح
الشاه او مطامعه .

ب) الشاه والعالم العربى : بينما يقول القرآن الكريم .. (يا
ايها الناس إنا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل
لتعارفوا) تقول شرائع اليهود ويونان الاسكندر وفارس
والرومان مايلى : (من جاورك فهو عدوك تخضعه او يخضعك
وتبداه بالحرب متى استطعت ، او يبادرك هو بالحرب متى
استطاع) .. من شريعة فارس ، لامن الشريعة الاسلامية
انطلق الشاه كما ينطلق اليوم الخمينى ، وسارع الى القبول بان
يكون الجدار الهام من جدران المحجر الوقائى المعد للعالم
العربى ، هذا المحجر الثلاثى الشكل ، وذو الاضلاع الثلاثة ،
والمشكل من طهران ، وتل ابيب واديس ابابا ، ويشاء يمن الطالع
او سوءه ، ان يكون عالمنا العربى الشرق اوسطى يتمتع بمركز
فريد من نوعه جغرافيا وعسكريا واقتصاديا ، فهو بمثابة جسر
يربط بين قارات ثلاث ، اسيا واروبا وافريقيا ، وذو ممرات
ومضائق مائية تربط بين بحرين ومحيطين وتختزل المسافات
اختزالا بالغ الاهمية بالنسبة الى التجارة الدولية ، والمواصلات

العسكرية كما ان بلدانه تشكل خط الدفاع الثانى بعد تركيا وايران وتحتزن أرضه ثروات هائلة اهمها النفط . دماء الحضارة الحديثة ومحرك صناعاتها والاتها الحربية اصف الى ذلك كونه ميدانا مغريا للاستثمارات وسوقا ذا قدرة شرائية لابس بها ومصدرا رئيسيا للدولار البترولى ، وعاملا بالغ الاهمية بالنسبة للنشاط المصرفى والسندات الحكومية الامريكية وسواها لذلك كله اصبحت لعالمنا العربى الشرق اوسطى الاولوية المطلقة فى سلم الاولويات العسكرية والاقتصادية من تجارية واستثمارية ومعونات وقروض الخ .

ولما كانت غريزة الطامع ومنطقه يجمعان على ان ابقاء عالم هكذا حاله . كعالمنا العربى مفككا وهزيلا هو افضل وسيلة للحفاظ على مصالحة وتوسيعها وتحقيق اطماعه وذلك لان التعامل مع الضعيف ايسر سبيلا واوفر نفعا اذ يصبح تعامل كهذا املاء ارادة وفرض مشيئة لذلك كان لابد من خلق او إيجاد قوة تكبح من جماح العرب وتبقى شعوبهم على حال من هزال وضعف وترغم دولهم على التطلع دائما وابدا الى الدول الكبرى طلبا للحماية او العون عند كل خطر او نذير بخطر ، ولما كان عصر الاستعمار فى مطلع النصف الثانى من القرن العشرين يختلف كليا فى وسائله عن عصر الاستعمار فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر (الذى يعتمد على اليوم الاتحاد السوفيتى) لذلك ينبغى ان تكون القوة الكابحة والمضغفة للعرب من داخل المنطقة وملتزمة لابل خاضعة لتوجيه الدولة او الدول الكبرى ومنفذة لسياستها وهكذا تشكلت القوة المطلوبة من الثالوث ، ايران

واسرائيل وحبشة هيلاس لاسى .

ج) - تاريخ حافل : ان تاريخ علاقاتنا بايران البهلوية تاريخ حافل بميرير الذكريات ففى عام ١٩٢٥م وبموافقة بريطانيا ارسل والد الشاه الجنرال فضل الله على رأس جيش الى الاهواز فاحتلها واعتقل اميرها الشيخ خزعل وزجه فى احد سجون طهران ، حيث قتل خنقا ، وبذل اسمها الى اسم خوزستان ، ومنع تدريس اللغة العربية وفرض اللغة الفارسية على اهلها العرب ونقل عشائر عربية باكملها الى شمال ايران ، واحل محلها جاليات فارسية .. وفى عام ١٩٣٧م ارغم العراق على عقد معاهدة مع ايران ، حصلت ايران بموجبها على سبعة كيلو مترات من الاراضى العراقية مقابل عبادان ولم تكثف ايران بذلك بل نقضت حتى هذه المعاهدة فى ١٩ ابريل، من عام ١٩٦٩ وعادت لتطالب بالمزيد من اراضى شط العرب وفى شهر نوفمبر من عام ١٩٥٧م اعلنت الحاق البحرين بالتقسيمات الادارية الايرانية وقد اعتبرت البحرين المحافظة الرابعة عشرة من محافظات ايران ولقد قام الشاه فخص البحرين بمقعدين من مقاعد مجلس النواب الايرانى وقد شغل هذين المقعدين مواطنان بحرنيان ايرانيا الاصل هما عبد الله الزبره وعبد الحميد الغلواث . ويجدر بنا ان نشير هنا ان الملك الراحل فيصل طيب الله ثراه هو الذى انتزع اعتراف الشاه باستقلال البحرين وذلك فى شهر اغسطس من عام ١٩٧١م . وفى اليوم الثلاثين من شهر نوفمبر من عام ١٩٧١م احتلت ايران وبموافقة بريطانيا ايضا . وقبل انسحابها من الخليج ، الجزر العربية الثلاث : طنب الكبرى وطنب

الصغرى التابعتين لامارة رأس الخيمة وجزيرة ابوموسى التابعة لامارة الشارقة ، اصف الى ذلك احتلال ايران فى عام ١٩٥٠ لجزيرة هنجام القريبة من رأس الخيمة والتي كان يبلغ عدد سكانها قرابة ستة الاف نسمة وكان يحكمها احمد بن عبيد بن جمعة المكتوم . اصف الى ذلك جزيرة صرى الواقعة بين ابوظبى والشارقة ، والتي احتلتها ايران فى عام ١٩٦٤م وانشأت فيها مطارا حربيا هاما ، واضف ايضا وايضا الجزيرة المعروفة باسم جزيرة الغنم التابعة لعمان والواقعة على مضيق هرمز واضف ايضا وايضا ان ايران تطالب بثلاث جزر فى الكويت ولا تزال وحتى فى عهد الخمينى ترى ان حدودها مع العراق والكويت والمملكة العربية السعودية ليست بحدود نهائية حيث جرت فى عام ١٩٦٦م مفاوضات بين ايران من جهة وبين المملكة العربية السعودية والكويت من جهة اخرى ، حول الجرف القارى والجزر الكويتية التى تطالب بها ايران ، ويشاء الشاه كما شاء والده من قبل ان يجعل من الاستعلاء والغطرسة دبلوماسيته فى تعامله والعرب ، فالشاه لم يرض بالقيام حتى بدور الشقيق الاكبر بل اراد ان يكون حامى الخليج وسيد العرب ، وهكذا سمعته يعلن جهارا نهارا ويقول :

يجب على ايران ان تبنى مستقبل خططها العسكرية على الخليج .. نحن لانرغب فى ان تخرج القوات الاجنبية من الخليج الفارسى لتحل محلها قوات اخرى .. ولاشك ان امرا كهذا لن يحدث ، وسيكون ضمان حرية الملاحة فى هذه المنطقة مناطا بنا ونحن وحدنا قادرون على القيام بالتزاماتنا على اكمل وجه .

د - الشاه يشب عن الطوق : من طبيعة النرجسى انه لايعرف ابدا الحدود الفاصلة بين الممكن والمستحيل الامر الذى كان السبب الاوحد وراء سقوط الشاه واندثار نظامه فالولايات المتحدة الامريكية ارادته ان يكون منطلقا لها وقاعدة تركز اليها ، لا ان تصبح وهى الدولة الاعظم منطلقا للشاه الى مطامحه ومركزه فى تحقيق احلامه الامبراطورية وقد ارادته ان يكون قوة تهديد واضعاف للعرب لاقوة تطمح الى الانفراد بالسيطرة على الخليج والعرب لقد ارادته ان يكون قوة تحييد لاقوة تعمل لحسابها الخاص ومستقلة عنها تماما وارادته ان يكون حمامة الالبينك لاصقرها فاذا بالشاه يصرح فى اليوم الخامس عشر من شهر مارس عام ١٩٧٦م لمجلة يو . اس . نيوزاند ورلد ريبورت قائلا : (ان ايران تستطيع ان تضر بالولايات المتحدة الامريكية بقدر ما يستطيع الامريكيون الاضرار بنا ، ان لم يكن أكثر من ذلك ، وان اضرار ايران بامريكا لن يتمثل فقط فى قضايا البترول . بل فى قدرتنا ايضا على خلق المتاعب للولايات المتحدة الامريكية فى منطقة الخليج باكملها) ..

واذا بالشاه يتبع تصريحه الانف الذكر بتبنيه قرارا يقضى برفع اسعار النفط بنسبة ١٥ ٪ . واذا بالشاه اخيرا يتجاوز الخط الاحمر فيخرج عن الدور المرسوم له ، ويقوم بزيارة الاتحاد السوفيتى ويستقبل مختلف البعثات السوفيتية ، ويعلن امريكا ، من خلال الفعل لا القول انه سيتعامل معها تعامل الند للنند، ولن يكون تابعا سيارا فى فلکها ، الامر الذى جعل الدوائر الامريكية تتخذ قرارها الحاسم بتاديبيه او اسقاطه اذ انها خشيت ان

ينتهي الشاه الى نوع مما عرف خلال الخمسينات بالحياد الايجابى ، الامر الذى سيخرجه حتما من الفلك الأمريكى الى الفلك السوفيتى كما كانت الحال والرئيس جمال عبد الناصر .

هـ - تآديب ام اسقاط : بدأ الشاه يشعربتحرك امريكا ضده . فادلى بحديث الى مجلة (تايم الامريكية) انتقد فيه وكالة الاستخبارات المركزية ، واتهمها باقامة علاقة من تعاون بينها وبين العناصر المعارضة - . وقد نشر حديثه هذا كما اذكر في شهر نوفمبر من عام ١٩٧٨م وفي الشهر الاخير من العام ذاته ، ارسل الشاه كتابا الى الحكومة العراقية ، يحذرهما من ان العراق لن ينجو من الاضطرابات التى تعانيها ايران ويقول ان الولايات المتحدة الامريكية تحاول استبدال الانظمة القائمة فى المنطقة بتحريك الصراعات المذهبية . وانهى كتابه مطالبا الحكومة العراقية بضرورة فرض رقابة شديدة على نشاط اية الله الخمينى ، وقد اتهم الشاه الخمينى بان له او لاعوانه صلات وثيقة بالخابرات الامريكية ، ويشاء سوء طالع الشاه ان تكون علاقاته بالحزب الجمهورى الأمريكى ، ولاسيما من خلال كيسنجر وروكفلر ، علاقات اكثر من جيدة ، وان يكون الحزب الديمقراطى هو الحاكم بينما كان نظام الشاه يترنح تحت ضربات جماهير ايران ، فالحزب الديمقراطى بحكم المنافسة السياسية، لم يكن مرتاحا الى التعاطف الخاص بين الشاه وبين الحزب الجمهورى . ومع ذلك كله فاننى لاسطيع ان اذهب الى الجزم بأن الولايات المتحدة الامريكية برئيسها الديمقراطى جيمى كارتر كانت تتوخى اسقاط الشاه لا تآديبه، وذلك لان البيت

الابيض ولاسيما برجنسكى ، بقى حتى اللحظة الاخيرة مساندا للشاه وكذلك كان ايضا حال سيده .. ومعارضاً لنصائح وزارة الخارجية الامريكية القائلة بان الشاه قد انتهى امبراطورا ونظاما . وعلى الرغم من أن الدستور الامريكى يجعل من الرئيس الامريكى السيد المطلق الحرية فى التصرف فى الشئون الخارجية توجيهها وتنفيذا لكن واقع التركيب السلطوى الامريكى ، يجعل من حيث الممارسة ، ادارات اخرى كوكالة الاستخبارات الامريكية ووزارة الخارجية ووزارة الدفاع .. الخ تعمل لحسابها الخاص وتتجاوز تعليمات البيت الابيض وتضع رئيسه امام الامر الواقع ، وهكذا سمعت الجنرال ربيعى ، قائد السلاح الجوى الشاهنشاهى يقول اثناء محاكمته امام محكمة الثورة الاسلامية عن دور الجنرال هويزر الامريكى الذى اوفدته امريكا الى ايران قبيل سقوط الشاه ، ما نصه بالحرف الواحد : (لقد القى الجنرال هويزر بالامبراطور خارج ايران كما يلقي بالفار الميت)

وكذلك تقرأ ايضا فى مذكرات الشاه قوله : (عرض الجنرال عرضا غريبا على رئيس اركانى الجنرال قرة باغى .. وهذا العرض هو ان يلتقى بمهدى بازرگان الذى عينه الخمينى رئيسا للوزراء ، على الرغم من ان شاهبور بختيار كان لايزال يشغل هذا المنصب واستطرد الشاه قائلا : (لقد نجح الجنرال هويزر فى اقناع جنرالات الجيش بالتخلي عن الدكتور شاهبور بختيار) . ولذلك نقول ان دور الولايات المتحدة الامريكية او بالاحرى دور وزارة الدفاع كان يختلف كلياً عن دور كيرميت روزفلت ايام

مصدق فهو يزور حضر هذه المرة الى طهران ليقوم بدفن الشاه ونظامه ، لابتشيع جنازة الخميني ودفن ثورته

ز - استدرار : ينبغي الان فهم من القول الانف الذكر ان الولايات المتحدة الامريكية هي التي اسقطت الشاه فالذي اسقطه هو الشعب الايراني وحده ، شأنه في ذلك شأنه ومصدق فعندما انسلخ الشاه عن شعبه ، واختار القوات المسلحة شعبا له ، حكم على نفسه بالسقوط وعلى نظامه بالاندثار فالجيش قد ينتصر للنظام مرتين وثلاثا واربعاً ، ولكن الشعب اذا استمر في نضاله العنيد فلا بد للجيش ان ينضم الى صفوف الشعب ولقد جاءت ثورة المجندين من الجيش الايراني على ضباطهم والمعركة التي دارت في احدى القواعد الجوية بالقرب من طهران بين جنودها وبين الحرس الامبراطوري ومن ثم فرار العديد من العسكريين من صفوف الجيش وبخيار لايزال رئيسا للوزراء واخيرا اعلان قائد القوات المسلحة الايرانية اتخاذها موقف الحياد من الصراع بين الشعب والعرش ، اقول جاء كل ذلك بمثابة الدليل القاطع على صدق ما ذكرته انفا ف جماهير الشعب الايراني بعد ان صمدت الصمود العنيد امام الجيش كان لابد للجيش من التراجع ومن ثم التخلي واخيرا الفرار من ميدان المعركة وترك الشاه لمصيره لذلك فان مهمة الجنرال هويز لم تكن ذات شأن او اثر في تغيير مجرى الاحداث صدا او دفعا فالاحداث حينما تنطلق من عقالها تصبح اسيرة لدينا ميكيته الخاصة بها ، ولا تعود خاضعة لاية قوة خارجة عن زخوميتها بل تتابع مسارها ساحقة كل ما ومن يعترض سبيلها فمنطق الثورة

لا يفهمه العقل حتى عقل الدولة الاعظم . لقد استعاض الشاه عن الاسلام بالعلمانية وعن شعبه بالجيش فخذله العلمانيون في ساعة الشدة ولم ينصره العسكريون في لحظة الجسم اما اصدقاءه الامريكان فسرعان مانسوا تماما قصة حبهم الطويل والشاه ، فانطلقوا يغازلون الخميني بسمة وهمسا كانهم مراهق خجول لكن هدير الثورة اغرق همساتهم وتجهم الخميني كسف بسماتهم اما الشاه فاقتنع بانه ليس للدول الكبرى اصدقاء دائمون ولا اعداء خالدون بل ان لها مصالح دائمة .

العلمانية تحكم ايران

١- مدخل :

يقولون ان عيوب المرء مكتسبة من عصره ، اما فضائله فهي ملك خاص به ولا علاقة او تاثير لعصره فيها . فطوال الخمسينات والستينات من هذا القرن طغت الموجة المادية على شعوب العالم الثالث ، واصبحت العلمانية بمثابة دين العصر وفلسفته ، وغدت الاشتراكية هيكل هذا الدين ومعبده ، وامست الثورية ناظما لطقوسه والثوريون كهنته ورهبانه ، وغمر ماركس وانجلز وماوتسى تونج بظلالهم كل موروث وتراث ، فتنكر لابل انكر البعض تاريخه ، واصبح كل ما كان قبل ماركس متخلفا فاسدا ورجعيا . وغدا كل ما ينطلق من ماركس والماركسية صالحا وتقدما ، فماركس قد نسخ تاريخ الحضارات والغاه ، وبالماركسية وحدها يبدأ تاريخ الانسان الحضارى حيث لا طريقه THESES ولا نقیضة ANTITHGESES بل جمعية فقط SYNIHESES وذلك لان ماركس يرى ان تاريخ الانسان ليس بتاريخ تساميه الموصوف بالاية الكريمة (ياايها الانسان

انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه) بل انما هو تاريخ الانسان الملاحق لغاياته الاقتصادية والكادح في سبيلها . فماركس قد اختزل الانسان الى معدة وجاء من بعدة سيجموند فرويد فاخترله الى جهاز او آلة جنس ، ولذلك فان كل حافز او نازع لا ينبع من المعدة تسقط عنه الصفة التاريخية ، فليست لدى ماركس ثمة فضائل ، فكل ما يخدم مصلحة الطبقة العاملة هو فضيلة ، وكل ما يتعارض ومصلحتها هو رذيلة ، فلقد قال لينين مثلا : (ان كل عمل يساعد على الثورة هو عمل صالح ، فليست الوسيلة هي الميزان ، بل الغاية) ولذلك فالماركسية لا تؤمن بان ثمة ثوابت تاريخية ، وثمة افعال تنطلق من النخوة والشرف ، فالعوامل الاقتصادية ، هي عناصر ديناميكية الجدلية المادية التاريخية ، لهذا السبب ينبغي ان يكون الرغبة الغاية والهدف ، فالخبز وما يرمز اليه من كسب ومنفعة كان ولازال ، في نظر ماركس محرك التاريخ وموجهه ، واما الشهادة والاستشهاد او المثل العليا فهي مشتقات من افئون الشعب ، اما الاخلاق فهي اعراض لا جواهر ، وتفرضها الطبقة المالكة لوسائل الانتاج على المجتمع والدولة ، فالنظام الاقطاعي له اخلاقيته الخاصة به ، وكذلك النظام الرأسمالي ، وهكذا دواليك حتى النظام الشيوعي ، وبهذا يكون ماركس قد نفى الثوابت التاريخية جملة وتفصيلا ، وجعل الانسان كالحرباء ، تماما يتلون اخلاقا وعقائد بلون ظروفه الاقتصادية والاجتماعية ، اما التاريخ فهو في نظر ماركس تاريخ الصراع بين الطبقات .

هذه ابرز عقائد ماركس الفلسفية ، وهي كما يرى القارىء لا

ترتفع كثيرا بالانسان عن مستوى الحيوان الذى خلق لياكل ويعيش وينفق ، وذلك هو مذهبه الاخلاقى الخاضع بمفاهيمه لسلم التطور الاقتصادى فالاجتماعى ، والمعتمد المكيافيلية شكلا وموضوعا ، وذلك هو مجتمعه الداروينى (نسبة الى داروين) الذى ينتظمه تنازع البقاء ، حيث تسود الغريزة وتسيطر .

ويجىء بعد ماركس سيجموند فرويد فيعلن ان الجنس والارغائب الجنسية المكبوتة منها وغير المكبوتة هى دينميكية تاريخ الانسان وبوصلته ، وهكذا يلتقى هذان الفيلسوفان اليهوديان على اعتبار الحس (وهذا بدوره نتاج المادة ايضا) هو وحده جدلية التاريخ

تلك كانت مقدمة لابد منها ، كى نتفهم ونفهم الاسباب التى دفعت بالشعب الايرانى الى الثورة على الشاه ، وعلى الرغم من المنجزات الضخمة التى حققها الشاه فى ايران ولايران .

ب - ثورة الشاه البيضاء :

من تلك القواعد الفاسدة انطلقت جميع التيارات الاصلاحية والثورية التى اخذت تعصف بالعالم الثالث وشعوبه منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ، وقد بلغت التيارات اشدها من العتو والطغيان خلال الخمسينات والستينات من هذا القرن ، كان اشد دعائها تطرفا هم المثقفون الذين نهلوا من الثقافات الاجنبية ماركسية كانت ام ليبرالية ، وذلك لان الديمقراطية الليبرالية بجميع فروعها ، ولاسيما الاشتراكية منها ، تنبع من المادية

ذاتها التي تنبع منها الماركسية ، ففرنسيس يكون هو والد ماركس ، اما هربرت سبنسر فهو عرابه .
والحق ان تيار الشاه الاصلاحى ، لم يشذ عن تلك القواعد ، وذلك لان العلمانية التي ورثها عن ابيه ومارسها طوال عهده قد ابقته رهين سجن الجدلية المادية ، الامر الذى جعله عاجزا عن ادراك الفوارق الجوهرية بين العدل الاجتماعى فى الاسلام وبين الاشتراكية التطورية الاصلاحية التي انتهجها فى ايران :

ج - منجزات الشاه :

لاخلاف ان الانسان المادى العقلانى حينما يتامل فى منجزات الشاه ليقف مذهولا امام ثورة الخمينى ونجاحها فى خلع الشاه واسقاط نظامه ، وذلك لانه سيرتبك ويحтар فى تفهم اسبابها وفهم سببيتها ، فما حققه الشاه وانجزه ابتداء بعام ١٩٦١م وانتهاء بعام ١٩٧٧م لهو والحق ضخم غاية الضخامة وفقا حتى لاي معيار مادى او ميزان علمانى ، ووفقا لاي مفهوم اشتراكى او قاعدة ماركسية . ففى شهر مايو من عام ١٩٦١م اصدر الشاه مرسوما يقضى بحل المجلس النيابى العشرين ، وذلك لان الشاه وجد ان المجلس المذكور سيعارض حتما مشروع قانون الاصلاح الزراعى الذى ينتوى اقراره وتنفيذه فى ايران ، فقبل صدور هذا القانون كان ثمة الف عائلة ايرانية تملك ثمانين بالمائة من الاراضى الزراعية الجيدة ، وكانت هذه العائلات تشكل طبقة اقطاعية واوليغاركية معا وتستأثر بسياسة البلاد وبرقاب العباد ، وفى عام ١٩٦٢ اصبح للاصلاح الزراعى قوة القانون ،

وقد استفاد من الاصلاح الزراعى مليونان ونصف المليون عائلة ، الامر الذى لم تكن له انعكاساته فقط على البنية الاقتصادية ، بل وايضا على الهيكل السياسى الايرانى ونظامه . وقد اتبع الشاه الاصلاح الزراعى بقانون يقضى بانشاء التعاونيات الفلاحية ، وتشكلت ما يقارب الثمانية الاف تعاونية زراعية ، فكانت تضم قرابة مليون منتسب ، وكانت هذه التعاونيات لاتحصر نشاطاتها فقط فى تقديم القروض لتسويق المحاصيل الزراعية ، بل تتجاوز ذلك الى القيام بخدمات اجتماعية من تعليم وصحة وسواهما ، ولم يستثن الاصلاح الزراعى الاوقاف الدينية بل شملها ايضا ، الامر الذى دفع باية الله الخمينى الى معارضة قانون الاصلاح الزراعى شكلا وموضوعا ، ورغبة من الشاه فى توفير الخدمات الصحية للريف ، انشأ اربعمائة وحدة صحية وقد انشأت هذه الوحدات حتى منتصف السبعينات خمسة وعشرين الف مستوصف فى خمس وعشرين الف قرية من قرى ايران الخمسين الف : كما قضى الشاه على الجدرى والملاريا والطاعون ..

اما العمال البالغ عددهم قرابة المليون والذين يعملون فى الصناعة المتوسطة والخفيفة والتحويلية فانتظموا فى نقابات واباح لهم القانون ممارسة جميع انواع النشاط النقابى ، كما اصبح لهم سهم لابس به من الارباح ، اضيف الى ذلك ان القانون اشترط ايضا ان يكون للعمال تسعة واربعون بالمائة من الاسهم فى المؤسسات الصناعية الرسمية ، وفرض ايضا تشكيل لجان تحكيم مختلطة من العمال وارباب العمل لفض

المنازعات والبت في الخلافات بين رأس المال .. والعمل .
وطموحا من الشاه الى توسيع ميادين الصناعة ، اسقط الشاه
الضرائب عن المؤسسات الصناعية المنوى انشاؤها واعفاها من
الرسوم الجمركية وشتى الرسوم الاخرى ، وعرض على ملاك
الاراضى ان يعرضهم عن ملكياتهم الزراعية المنزوعة لحساب
الاصلاح الزراعى باسهم في المؤسسات الصناعية . وعقد
الشاه العزم على ان يجعل من ايران الدولة الصناعية السادسة
في العالم بعد (الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى واليابان
والمانيا وفرنسا) وهكذا وجدته يدخل بايران عصر الصناعات
الثقيلة ، اذ اصبحت ايران بلدا منتجا للسيارات ولبعض
المعدات الصناعية الاخرى ، كما سار الشاه ببلاده الى عتبات
عصر التكنولوجيا ، فاشترى عددا من المفاعلات النووية من
فرنسا ، ومن ثم تطلع ايضا نحو الاتحاد السوفيتى حيث ابرم مع
السوفييات اتفاقا يقضى بمدهم بالغاز لقاء قيام الاتحاد السوفيتى
ببناء مجمع من اكبر مجمعات الصلب فى آسيا وافريقيا فجرى
تمديد خط لانابيب الغاز يبدأ بالحقول البترولية الجنوبية وينتهى
ببلدة استرا السوفياتية الواقعة على بحر قزوين ، وقد بلغ طول
الخط المذكور ٧٨٠ ميلا وبلغت طاقة ضخه فى عام ١٩٧٥م مليارا
ونصف المليار قدم مكعب من الغاز يوميا ..

وعلى الرغم من الارتفاع النسبى للضرائب .. فلقد كانت
الاستثمارات تجنى قرابة ثلاثين بالمئة من الارباح ، كما ان
ارتفاع الاجور والمداخيل والمرتببات لم يكن له سوى الاثر الضئيل

في ارتفاع الاسعار ، وذلك لان الشاهد استطاع ان يكبح من جماحها .

ومن ثم جاء ارتفاع سعر البترول ليزيد في طموح الشاهد طموحا ، فلقد جن الشاهد .. بامر من لا ثالث لهما الا وهو التسليح والتصنيع ، فلقد كان في هذين الميدانين لا يتسابق والزمن . بل كان يسبقه في كل شوط ورغبة منا في ايضاح القفزات الهائلة التي قفزتها ايران في عهد الشاهد سنكتفي بضرب المثل التالي :

بلغت المبالغ المرصودة للخطة السبعية ابتداء بعام ١٩٤٩م وانتهاء بعام ١٩٥٦م ثمانية وستين مليون دولار .. قفزت المبالغ المرصودة للخطة الخمسية ابتداء بعام ١٩٧٣م وانتهاء بعام ١٩٧٨م من ثمانية وستين مليون دولار الى سبعين الف مليون دولار .

وفي عام ١٩٦٢م شن الشاهد حملات كاسحة على الامية وقد اشرك الجيش في هذه الحملات فكان يفرض على المجندين من المتعلمين الذهاب الى القرى وتعليم الاميين من الفلاحين .. وقد انشأ الشاهد ايضا اربعا واربعين دارا للمعلمين وثمان جامعات وبلغ عدد الطلاب الجامعيين في عام ١٩٧٠م مئة الف طالب . بالاضافة الى ثلاثين الف طالب كانوا يتلقون علومهم في الخارج ، كما بلغ عدد المدارس المهنية والتقنية مائة مدرسة ... ولكن الشاهد مع جميع هذه الانجازات الرائعة في ضخامتها لم ينج من اللعنة النازلة اليوم بمعظم بلدان العالم الثالث واعنى بهذا تضخم العاصمة على حساب القرى والبلدان والريف بصورة عامة ، فلقد كانت طهران تنتج ٥١ بالمائة من مجموع ما

تنتجه ايران من السلع ، وكانت تستأثر بثلاثة وثلاثين بالمائة من جميع الاموال المستثمرة في ايران ، وكان ستون بالمائة .. من جميع الاجور والمرتبات في ايران يتقاضاها العاملون والموظفون في طهران .. وكان ثلاثون بالمائة من جميع المشاريع الايرانية تقوم في طهران وكان في العاصمة ثلاث جامعات هي جامعة طهران وجامعة ايران الوطنية وجامعة اريامهر الصناعية .. وقد كلف الشاه زوجته الامبراطورة فرح ديبا ، بوصفها مهندسة فيما مضى بالاشراف على وضع مخطط طهران بحيث يجعلها تتسع لخمسة ملايين من السكان .. ولكن الاحداث تشاء ان يتجاوز عدد سكان طهران الخمسة ملايين نسمة قبل ان يوضع ذلك المخطط موضع التنفيذ .

د - هل بالخبز وحده :

ذلك غيظ من فيض من منجزات الشاه لابل روائعه التي ستجلوها يد التاريخ وسترغم كل مؤرخ علماني ، وكل باحث مادي المذهب على التساؤل لابل التسليم بانه ليس بالخبز وحده يحيا الانسان .. فالفقر قد يكون الديناميت ولكن تفجيريه يكون ويبقى بحاجة الى صاعق .. وقد ثبت لكل متأمل موضوعيا في التاريخ ، ولاسيما تاريخ نشوء الدول وتجسدها وازدهارها وسقوطها ، ان هذا الصاعق كان ومازال صاعقا من صنع الروح وحدها لامن صنع المعدة او رغائب الجنس .. ومن العجب العجاب ان هذه الروح ليست قادرة فقط على تفجير الديناميت ، بل وقادرة ايضا على تبديل طبيعة الديناميت المتفجرة تبديلا

كلية ، اذ انها تحيله ، اذا اخلص الحاكم والمحكوم للحق وحده ، الى زخوم هائلة تدفع لابل و تطير بالامم الى اهدافها بسرعة مذهلة لا مثيل لها الاسرعة الاسلام في صدره ، وذلك لان الكادح الى ربه كدحا يحيل حتى الطاقة الهدامة الى قوة تتسامى به الى بارئه .. وهذا ما جهله الشاه او تجاهله حينما انساق في طريق العلمانية وهجر الاسلام .. وقد يقوم احد العلمانيين او المتعلمين فيقول ان خطوات الشاه في تسارعها نحو التصنيع ، ونحو انشاء مجتمع صناعي لم تواكب تطور الانسان الايراني بل خلفته وراءها اشواطا واشواطا ، الامر الذي اضطر معه المواطن الايراني الى الحرون ومن ثم الى الانتفاض والثورة وقد يستطرد مثل هذا المتعالم فيقول: الشاه قد سبق زمانه ، وان من عادة الشعوب ان تصلب من يسبقها ، من ابنائها .. ولكن .. ولكن ما قول هذا المتعالم بالماركسية القائلة بان سياط الحتمية تسوق دائما الشعوب وتبلغ بها اهدافا ماكانت تحلم ببلوغها ابدا من قبل ؟

الا يرى معنى هذا المتعالم ان الماركسية حينما تقرر ذلك تهدم اهم اركانها ، وهو الاقتصاد ؟

فتلك الحتمية التي تقول بها الماركسية ، وهي تحريف لمفهوم كلمة الايمان لان الايمان كما نعلم جميعا لا يتدفق ابدا من المعدة ، بل ينبع فقط من ضمير الانسان ، وان السبب كل السبب وراء نجاح ماوتسى تونج في الصين هو براعته في تحويل الحتمية الماركسية الى نوع من ايمان بنوع من دين ، ولكن مثل هذا النوع من الايمان الذي يمثل هذا النوع من الدين لا يستمر طويلا ولا

يعمر ، اذ سرعان ما تخبو جذوته كما نشهد الان في الاتحاد السوفيتى ، اذ اننا نرى ان معظم ابناء الاجيال الذين ولدوا وترعرعوا وشبوا في ظلال الماركسية ، هم الذين يشكلون اليوم جيلا او بالاحرى اجيالا لرفض للماركسية والسوفيائية معا ، وهم المتمردون على الشيوعية مثلا اعلى ونهجا ، فالرغيف ضرورى ولكنه غير كاف البتة لاشاعة الراحة والطمأنينة اللتين يشيعهما الدين والايمان بالله كما انه غير كاف البتة للحفاظ على زخومية الامة والتصاقها بقيادة لايفرون لها سوى ضرورات العيش ، ويمنعون عنها جميع ضرورات الحياة ، وشتان ما بين العيش والحياة ، اى شتان ما بين اللذة والسعادة .

جميع هذه الحقائق جهلها الشاه وذلك لان جميع منجزاته كانت تستنفر المعدة وتخدر الروح ، وكانت دائما مرفوقة بجهود تهدف الى طمس ايمان الشعب الايرانى المسلم دون ان تقدم له بديلا لايمانه الاصيل بالاسلام ، لذلك كانت ترغمه على العمل ، ولكنها كانت دائما تفشل فى استنفار حماسه اى ايمانه بما يعمل .. ولما كانت تربة شعوب الشرق تربة مستعصية على جذور المادية وكان التسامى وحده هو مولد زخومها لذلك جاء ما بذره الشاه وزرعه دون جذور فهو حالما هبت عليه رياح الاسلام .. فالايमान لا يصنع المعجزات فقط بل يحافظ على استمرارية العمل ويزود الامة بانفاس ابدية ايضا .. وليس الحس او الحواس هى وعاء الايمان فكل شئ يفقد قداسه ، حالما يدخل عالم المحسوس ، وهكذا فان حياة الشاه ومصيره كانا اصدق برهان على انه ليس بالخبز وحده يحيا الانسان وعلى ان الايمان هو القوة

الوحيدة القديرة على الاجتياز بالامة النقطة الحرجة في مراحل
تطورها ، وان افضل السبل لايقاظ ايمان الامة هو ممارسته لا
الدعوة اليه فقط فان يستشهد المرء في سبيل ما يؤمن اسهل بكثير
من ان يعيش وفقا لمنطوقه هذا ما سبق ان قاله ذلك الفيلسوف
الرومانى سنيكا ، اصف الى ذلك ان للايمان رفيقا وحيدا الا وهو
الحرية .. فليس الايمان فعل ارغام ، بل فعل حر ، ومثل هذا
الفعل لا يشتري برغيف ولا يتحقق باكرهه ذلك هو السر وراء
سقوط الشاه ونظامه فعلى خشبة الحرية ستصلب المادية فلسفة
ونهاجا .

ايران والآيات

أ - بين مد وجزر :

من سوء طالع الشاه انه بلغ المنعطف الحاسم في مصيره ، حينما لم يكن حوله أولئك المستشارون الاعلام كقوام السلطنة وسيد زيا وحكيمى وعلم والجنرال فضل الله زاهدى وسواهم من دهاقنة السياسة في ايران .. فآنذاك كان الموت او الشيخوخة أو النزوة او الغطرسة أو هذه كلها مجتمعة قد شتت شملهم واحلت محلهم اغرارا بارعين في استقراء ما يرتاح اليه الشاه ، وأبرع من ذلك في ترديده على مسمعيه .. وهكذا وجدتهم يضغطون بالتاج على رأس الشاه ، ورأيت رأسه يغوص اعمق فاعمق داخل تاجه ، فيحجب الحقائق عن ناظريه ، فيضطر الشاه للاستعاضه

عن عينيه بعيني منافق او وصولي او خنوع .. انها والحق
لمأساة ، مأساة كتبها الغباء واخرجتها النرجسية ومثلتها
المكابرة والغرور .

ولا خلاف انه عندما ينفذ الحكماء من حول الحاكم ، أو
يفض الحاكم الحكماء من حوله ، حينئذ يستسلم الحاكم والحكم
معاً لنفاق الحاشية وترهل البيروقراطية واجهزة التضليل
والقمع . وهنا يصبح الاستهتار لا الاستدراك اسلوباً للتعامل مع
الأحداث ولغة للتخاطب مع البشر . ولذلك يغدو التأرجح بين المد
والجزر اسلوب الحاكم في تعامله والأزمات ولغته في تخاطبه
وبشره ، وهكذا ترى مثل ذلك الحاكم يعمدأنا الى التطرف في
اللين وحيناً الى التطرف في العنف ، الأمر الذي كان الطابع المميز
لاسلوب الشاه طوال سنتي الأزمة التي انتهت بسقوط عرشه
واندثار نظامه .

ب - تهيئة مناخ الثورة :

تعاون الترف والترهل مع الغباء والاستهتار على تهيئة المناخ
الملائم للثورة . وقد جاء القمع فكان افضل وسيلة لتسريع
انفجار الثورة المرهوبة . في ايران التي كانت حتى عام ١٩٧٠
تستمتع بشيء من رخاء ولكن سرعان ما داهمها تضخم حاد هبط
بالمستوى المعاشي للطبقتين الوسطى والفقيرة ، ولاسيما في
المدن ، هبوطاً خطيراً . وكانت ايران حتى منتصف الستينات
بمنجاة من التضخم وشروره .

ولكن ماكاد عقد السبعينات يبدأ حتى أخذت الاسعار ترتفع

ارتفاعا رهيبا . فزادت اسعار الحاجيات ولاسيما الضروريات منها ، من ١٠٠ بالمائة في عام ١٩٧٠ الى ١٩٠ بالمائة في عام ١٩٧٦ . أما أجور المساكن ، ولاسيما مساكن الطبقة الوسطى ، فإنها قفزت من ١٠٠ بالمائة الى ثلاثمائة بالمائة في عام ١٩٧٥ . وقد رافق ذلك انخفاض مريع في الانتاج الزراعى الأمر الناجم عن هجرة اعداد ضخمة من الريف الى المدينة ، ولاسيما العاصمة طهران . وعندما قام خبراء الاقتصاد الايرانيون والاجانب بتحذير الشاه من عواقب سياسته الاقتصادية القائمة على التوسع في الانفاق الحكومى ، وأثارها الوخيمة في التضخم ، أجابهم الشاه بأنه يتوجب على رجل الدولة ان لا يستجيب أبدا لنصائح رجل الاقتصاد . ولكن ماكاد صيف عام ١٩٧٦ يطل على ايران حتى بلغ الغلاء حدا كاد معه تذمر الشعوب الايرانية يتحول الى تمرد ، الأمر الذى اضطر الشاه لاعلان حرب ضروس على من سماهم بالاستغلاليين .

وقد وجهت الحكومة ضرباتها بادية ذى بدء الى كبار التجار ورجال الاعمال ولاسيما الى اولئك الذين دعتهم « بأمرء الاقطاع الصناعى » مما دفع بكبار رجال المال والاعمال الى تهريب الأموال الى خارج ايران ، الأمر الذى عطل من فعاليات الاقتصاد الوطنى ، وضيق من ميادينه ، ودفع بالتمولين والصناعيين الى المعسكر غير المتعاطف مع النظام . وعندما اكتشف الشاه ان حملته تلك على البرجوازية الكبيرة لم تحقق الغاية المنشودة من ورائها ، وسع في جبهته لتشمل اصحاب المتاجر والدكاكين وصغار رجال الاعمال وفرض رقابة شديدة على

اسعار عدد كبير من السلع كالحبوب بمختلف انواعها والسكر واللحم والأرز وسواها .. واستوردت الحكومة لحسابها كميات ضخمة من المواد الغذائية ونزلت بها الى الاسواق لمنافسة التجار والباعة .. ومن ثم نهض حزب الشاه ، المعروف باسم حزب البعث ، فشكل كتائب من الطلاب ، عرفت باسم « كتائب الرقابة والتفتيش » وانطلق هؤلاء يصولون ويجولون في الاسواق ضد المستغلين من الباعة وصغار التجار .. وأدلت ايضا السافاك (المباحث) بدلوها . فشكلت المحاكم الخاصة التى عرفت باسم « محاكم النقابات » وقد اصدرت تلك المحاكم حتى عام ١٩٧٦ مائتين وخمسين الف حكم بالغرامة المالية ، وأغلقت ثلاثة وعشرين الف دكان ومتجر . وقضت بالسجن من شهرين الى ثلاثة اعوام على ثمانية الاف بائع وتاجر .

وبذلك وحدت بين البرجوازية بطبقاتها الثلاث ، وساقط بابنائها الى المعسكر المعادى للشاه .

ولكن جميع المجهودات الحكومية لم تنجح فى القضاء على التضخم والغلاء ، الأمر الذى استجر الى صفوف المتذمرين موظفى القطاعين الخاص والعام . وقد استغل اليسار ورجالات الاحزاب والجماعات السياسية المعارضة الشكاوى من ارتفاع تكاليف المعيشة فحولوها الى معارضة سياسية استهدفت ، العرش حيناً والشاه أحياناً .

وقد اضطر الشاه اخيراً ، بغية التخفيف من تنامي المعارضة ، الى اقالة صديقه ورئيس وزرائه طوال اثنتى عشر سنة ، واعنى به عباس أمير هويدا ، وتعيين وزير البترول

السابق اموزيغار رئيسا جديدا للوزراء وقد ادرك الرئيس الجديد ان القضاء على الغلاء ، بالقضاء على التضخم هو المخرج الوحيد من عنق الزجاجة .. ووجد ان السبيل الوحيد لكبح جماح التضخم هو الحد من الانفاق الحكومي . فتقدم الى الشاه طالبا منه تخفيض الاعتمادات المخصصة للقوات المسلحة وللتسلح ، لكن الشاه رفض الاستجابة الى طلب رئيس وزرائه ، الأمر الذي اضطر اموزيغار الى تخفيض الاعتمادات الخاصة بالمشاريع المدنية والخدمات تخفيضاً حاداً ، واسقاط مبلغ ثلاثة مليارات ونصف المليار من الدولارات من نفقات مشروع السنوات الخمس وفرض قيود شديدة على القروض وايقاف العمل في انشاء ثمانية عشر مفاعل ذرياً من اصل عشرين مفاعل ، وتأجيل بناء عدد كبير من المصانع الجديدة ، والغاء عدد آخر من العقود الحكومية مع الشركات الاجنبية ، والوطنية . في مختلف الميادين والقطاعات .. وقد بدا ان سياسة اموزيغار الاقتصادية قد حالفها التوفيق ، وهكذا سمعت اموزيغار يعلن في مطلع شهر يونيو من عام ١٩٧٨ عن انتهاء الأزمة . ولكن الاجراءات العنيفة التي اتخذها اموزيغار في ميدان الاقتصاد والتي اسفرت عن كبح جماح التضخم والغلاء بعض الشيء ، اسفرت ايضا عن بدء الاجور الفعلية بالتدنى وعن تزايد نسبة العاطلين عن العمل ، حيث بلغ عددهم اربعمائة الف عامل في طهران وضواحيها ، الأمر الذي دفع ايضا بالعمل الى صفوف المناهضين للشاه ومن ثم لنظامه ، فاذا اضفنا الى هؤلاء والى ابناء الطبقة البرجوازية الايرانية ، سكان الاكواخ والاعشاش المحيطة بطهران ، عندئذ

نستطيع القول بان الشاه قد أعد الاكثرية الساحقة من امته
للتورة عليه ، ووفر للتورة المناخ المناسب ، ولم يبق سوى تهيئة
فتيلها واشعاله .

ج - فتيل التورة :

في سعيه الى الاستئثار بالسلطة شكلا وموضوعا نسف الشاه
جميع جسوره مع القوى السياسية ذات الجذور العميقة في تربة
ايران . وقد حاول ان يستعيز عن الشخصيات السياسية
التقليدية والشعبية بمخلوقاته من اشباه الرجال . وبلغ به
الشطط ، لا بل الغطرسة مبلغا جعله يشكل حزبا خاصا به ،
ويحاول فرضه حزبا وحيدا على البلاد ، واعنى بذلك الحزب
حزب البعث الايراني . فلقد ادرك آنذاك غريزيا ، ان الاعتماد
على القوات المسلحة وحدها وعلى السافاك ، ليس بكاف لتدعيم
سلطانه وللحفاظ على نظامه . ولكنه لم يدرك ان الزعامة تكتسب
اكتسابا وليست بوظيفة يعين فيها المرء بقانون او مرسوم .

لقد جهل الشاه بان القادة ليسوا ببضائع او سلع جاهزة
يشتريها من الاسواق حينما تستوجبها الحاجة اليهم . لذلك كان
الحزب الذي أنشأه الشاه عبئا عليه وعلى نظامه . وكان يتألف
من المنافقين والانتهازيين وصيادي الفرص ، ولا خلاف ان امثال
هؤلاء يصلحون لاستعداء الناس واستنهاز الهمم والنوازع
الخيرة للتصدي لكل قضية او شخص او نظام يرفعون رايته
أوينادون بشعاراته ، اصف الى ذلك ان مطل هؤلاء على الرجال
والاحداث هو مطل الضفدع من مستنقعه ، لا مطل النسر او

الصقر من عليائه . ولذلك وجد الشاه نفسه ملزما عمليا بالعودة الى مؤسسته الرئيسيتين ، واعنى بهما القوات المسلحة والسافاك ، وبهذا اصبح القمع لا الحوار هو وسيلة الشاه للتعامل والأزمة واسلوبه للتفاهم والأمة فشنت حملة تشهير على رجال الدين . وقد بلغت تلك الحملة درجة من العنف ، اضطرت ذلك الرجل الهادى والعالم الجليل شريعة مدارى للرد عليها .

وبادرت السافاك فأنشأت كتائب خاصة بها دعتها كتائب الانتقام . وكانت مهام تلك الكتائب الاعتداء بالضرب والتشهير بالمعارضة ، وبنقابات المحامين والاطباء والمهندسين والمعلمين . وكذلك هذا حزب الشاه حذو السافاك . فجند بدوره كتائب حزبه وقد عمدت هذه ايضا الى اساليب العنف الجسدى فى التصدى للمعارضة . لكن جميع هذه الاجراءات لم تنجح فى اخماد المعارضة كلمة وصوتا . ففى مطلع شهر مايو من عام ١٩٧٧ وجه عدد كبير من المحامين كتابا مفتوحا الى الشاه يتهمونه فيه بالضغط على القضاء والتدخل فى شؤون القضاء .. وبادر فى شهر يونيو من العام ذاته ثلاثة من كبار زعماء الجبهة الوطنية ، وهم كريم سنجابى وفوروهار وبختيار ، أقول بادر هؤلاء الى توجيه كتاب مفتوح الى الشاه كان بالغ الجرأة وخارجا على التقاليد والبروتوكول فى مخاطبة الشاه . وقد اتهم هؤلاء الشاه بتخريب الاقتصاد واهمال الزراعة ومخالفة القانون الدولى ، وانتهاك حقوق الانسان والخروج على الدستور ولاسيما المبادئ الدستورية لعام ١٩٠٥ وقد ختم كريم سنجابى ورفيقاه ذلك الكتاب قائلين :

« ان السبيل الوحيد لاعادة الوحدة الوطنية وحقوق الفرد الاساسية ، يتمثل في التخلي عن الطغيان واساليبه ، وفي احترام القوانين الدستورية وشرعة حقوق الانسان والغاء نظام الحزب الواحد ، واطلاق حرية الصحافة والمعتقلين السياسيين ، والسماح للمنفين بالعودة الى البلاد ، واقامة حكومة تتمتع بثقة الأمة وتحترم الحقوق الاساسية للانسان . »

وقام موظفو البنك المركزي الايراني فاتهموا مايزيد على المانة والسبعين شخصية من كبار شخصيات النظام ، بتهريب مايزيد على الفى مليون دولار الى خارج البلاد . وكان ابرز المتهمين رئيس الوزراء السابق شريف امامى والجنرال عويسى الملقب بجزار ايران ورئيس الوزراء السابق آموزيغار ومدير عام شركة البترول الايرانية ورئيس بلدية طهران ، الى غير ذلك من الشخصيات المرموقة ، اجتماعيا وسياسيا . وقد اثار اتهام هؤلاء موجات طاغية من الغضب على الشاه ورجاله ، وكان عاملا من العوامل الاساسية فى تهيئة مناخ الثورة وتزويدها بالفتيل .

د - اشعل الفتيل :

فى اليوم التاسع عشر من شهر نوفمبر من عام ١٩٧٧ كان اعضاء جمعية الثقافة الايرانية الالمانية ، يعقدون لليوم العاشر على التوالى اجتماعا فى جامعة آريا مهر فى طهران . وفى الساعة التاسعة من مساء ذلك اليوم داهم البوليس الجامعة وحاول ان يفض الاجتماع الذى حضره من الطلاب عدد يزيد على عشرة آلاف طالب .

وقد خرج الطلاب من الحرم الجامعى بمظاهرة صاخبة ، وكانوا يهتفون بسقوط الشاد ونظامه .

فتصدت لهم قوات الأمن وحاولت تفريقهم بالقوة ، فسقط من الطلاب قتيل واحد ، وجرح ما يقارب السبعين منهم ، واعتقلت الشرطة قرابة المائة طالب . وقد أثار هذا الحدث جميع طلاب الجامعات فى ايران ، حيث شهدت الايام العشرة التى اعقبته مظاهرات طلابية صاخبة .

وفى اليوم السابع من شهر يناير عام ١٩٧٨ نشرت جريدة « اطلاعات » مقالا عنيفا هاجمت فيه رجال الدين ووصفتهم بالرجعيين السود ، واتهمتهم بالتعاون سرا والشيوعية الدولية واستطردت تقول ان الخمينى ليس بايرانى وانه عمل فى شبابه جاسوسا فى الاستخبارات البريطانية ، وعاش حياة من فسق وفجور .

هـ - الانفجار الكبير :

التهبت ايران وانفجرت مدينة قم بالثورة وخرج اربعة الاف من طلاب المعاهد الدينية بمظاهرة صاخبة انضم اليها عدد كبير من مختلف الفئات الشعبية . وتعالى الهتافات بسقوط الشاد وبالمطالبة بتقديم كاتب المقالة فى اطلاعات الى المحكمة .. وتعالى الصيحات منادية بعودة (الخمينى) وبدستور عام ١٩٠٥ وهاجم البوليس منزل شريعة مدارى وقتلوا شخصين من المتظاهرين ، كانا قد لاذا به من الشرطة . كما انفجرت ايضا الثورة بمظاهرات دامية فى طهران واستمرت فى قم ، وشاركت

فيها مدن اصفهان ومشهد والاهواز وشيراز وتبريز . وانطلق المتظاهرون يهاجمون مراكز الشرطة ومكاتب حزب البعث الايراني والفنادق الفاخرة ودور السينما والمصارف .

وبلغت المظاهرات أشد درجات العنف في طهران ويزاد وبابول ، الأمر الذي اضطر الشاه للعودة الى طهران من الخليج حيث كان يحضر مناورات اسطوله البحري . ويجدر بنا ان نشير هنا الى ان جميع مطالب المتظاهرين لم تكن حتى تلك الساعة تتجاوز المطالبة بالعودة الى دستور عام ١٩٠٥ وباطلاق سراح المعتقلين السياسيين وبعودة المنفيين . ولكن في اليوم السابع من شهر سبتمبر من عام ١٩٧٨ اتخذت لها المظاهرات منعطفًا حاسمًا .. اذ ان المتظاهرين اخذوا ولأول مرة ، يطالبون بسقوط النظام البهلوي وبقيام جمهورية اسلامية . وقد أثار هذا الانعطاف الرعب الشديد في قلب الشاه فأرغم مجلس وزرائه على اعلان الاحكام العرفية في العاصمة طهران وفي إحدى عشر مدينة اخرى ، أهمها قم وتبريز ومشهد ، واصفهان وقزوین وشيراز ... الخ . ومن ثم اصدر مرسوما يقضى بتعيين الجنرال عويسى ، الشهير بلقب سفاح ايران ، حاكما عسكريا لطهران ، وقد اكتسب الجنرال عويسى هذا اللقب بسبب قمعه الدموى للمظاهرات التى شهدتها ايران في عام ١٩٦٢ . كما اصدر امرا عرفيا يمنع جميع المظاهرات ، واتبعه بأمر آخر يقضى باعتقال سنجابى وبازركان وغيرهما من الزعماء ، وكان الشاه بعد ان لبس عناد الأمة الايرانية واصرارها على متابعة النضال ضده ، قد عين الجنرال غلام رضا آزهري الذى شكل وزارة ضمت ستة

من جنرالات القوات المسلحة ، لكن الجماهير الايرانية لم تعبأ
باجراءات الشاه ، ولم تستسلم لحكومته العسكرية .
فادرك الشاه ان استمرار سياسة القمع ستدفع اخيرا
بالقوات المسلحة الى التمرد عليه والاطاحة بعرشه ، الأمر الذى
تجلت ارهاصاته فى قم ، حيث انضم خمسمائة جندى واثنى عشر
دبابة الى المتظاهرين ، لذلك لم يجد أمامه من سبيل سوى
التراجع ومحاولة التفاهم والمعارضين وعلى رأسهم رجال الدين
والساسة كبازركان وسنجابى وفورهار . لكن هؤلاء رفضوا يد
الشاه الممدودة اليهم ، اذ انهم لمسوا ان الاحداث قد تجاوزت
بزخومها كل محاولة للمهادنة او التصالح او الحلول الوسطى
فالقضية لم تعد اقل من المطالبة بالجمهورية الاسلامية .

و - تراجع ام هزيمة ؟

بذل الشاه اقصى جهده لاعادة الجسور بينه وبين المعارضه
فاطلق سراح الف ومائة وستة وعشرين معتقلا سياسيا . وزج
بصديقه ورئيس وزرائه السابق عباس امير هويدا فى السجن .
وأقال الجنرال نصيرى رئيس السافاك ، وعين مكانه الجنرال
مقدم ، وحل حزبه حزب البعث الايرانى .. وامر معظم افراد
عائلته بمغادرة ايران . وقام بزيارة حتى مقام الامام رضا فى
مدينة مشهد .

وارسل بزوجته الامبراطورة فرح ديبا الى النجف للتبرك
والزيارة .. وحاول ان ينسى جماهير ايران المسلمة حفل الغداء
الذى اقامه فى رمضان للرئيس الأمريكى نيكسون . ونقله

التلفزيون الايراني بوقاحة تتساوى والفجور ..
ومع ذلك كله بقى الخمينى يصيح من منفاه فى باريس قائلاً لا
هدنة ولا انتهاء نضال قبل سقوط النظام الشاهنشاهى وقيام
الجمهورية الاسلامية .. واخيراً عاد الخمينى الى طهران ..
وكان ما كان من أمر بختيار .. واصبح الخمينى الشاه الجديد ..
وعين مهدي بازرگان رئيساً لمجلس الوزراء ، واحاط نفسه
بمجلس قيادة لثورته ، وكان هذا المجلس يتألف من أبى الحسن
بنى صدر وابراهيم يازدى وصادق قطب زاده وآية الله منتظرى
وبهشتى وهاشمى رافسنجاني ومحمد بوهانار ، تلميذ
الخمينى .

بين المصالح والإصداق.

أ - القسط الأخير ؟؟

في اليوم السادس عشر من شهر يناير عام ١٩٧٩ غادر أخيرا الشاه طهران الى القاهرة استجابة لرغبة رئيس وزرائه . وفي ذلك اليوم بالذات خرج مئات الالاف من الإيرانيين الى شوارع طهران مهللين مكبرين ومشيعين ابن بهلوى والبهلوية بالشتم واللعنات . وفي اليوم السابع والعشرين من شهر يناير سقط ثمانية وعشرون قتيلا من المتظاهرين احتجاجا على اغلاق حكومة بختيار لمطار طهران منعا لعودة الخميني اليها .

ولكن في اليوم الأول من شهر فبراير من العام ذاته خرج ثلاثة ملايين انسان لاستقبال الخميني العائد الى بلاده بعد حياة تشرد ونفى تجاوزت الستة عشر عاما . وهكذا تكرر انتصار الأمة . وتأكد سقوط النظام . وضبطت بهجة النصر ببشاشتها

صفوف المنتصرين ومواكب المبتهجين ، فالحدث كان اضخم من أن يعكر صفوه فوضوى او غوغائى او مدسوس ، انه المنعطف الجديد وقد يكون ايضا الحاسم ، فى تاريخ ايران بلادا وشعوبا لكن التيار الذى دفع بهذه الأمواج الهازجة من البشر ، لاستقبال الخمينى ، لم يكن تيار النصر ، بل كان تيار الحرية ، فالشعوب الايرانية ، قد سددت القسط الأخير من ثمنها ، وكان هذا القسط باهظا للغاية اذ أنه تكون من ستة عشر شهرا من قتال الشوارع وستة أشهر من مظاهرات جماهيرية حاشدة وخمسة أشهر من اضرابات عامة شملت حتى موظفى الدولة ، والالاف المؤلفة من القتلى والجرحى والمشوهين والمعتقلين والمشردين والمنفيين ، لذلك كان كل مواطن ايرانى ، ولا سيما بعد أن شاهد الشاه يتنازل عن عرشه يعتقد بأن الخمينى قد عاد معه بالحرية من منفاه او مغتربه ، فأيران بكافة شعوبها كانت قد بدأت منذ أربع وسبعين سنة قبل عودة الخمينى من منفاه بتسديد اقساط الحرية الحديثة ، وكان ذلك فى عهد الأسرة الكاجارية ، عندما هبت الأمة الايرانية بثورتها المشهورة ثورة عام ١٩٠٥ - ١٩٠٩ ، التى اسفرت عن الدستور الشهير بدستور عام ١٩٠٩ .

((ب - الخميني ووعوده))

لكن الخميني ليس بشاه ، إنه أحد المنكوبين بالشاه وبالشاهانية ، وقد عرف بمقاومته للطغاة وبزهده في بهارج الدنيا ، وبنسكه في المعاش ولذلك ، حينما أطل على طهران ، لم يطل اطلالة الزعيم على مواطنيه ، ولا اطلالة الحاكم على محكوميه ، بل عاد عودة الحرية إلى الأسير والعنفوان إلى الكسير ، فلم يتبد حاكما أو زعيما ولا حتى اماما ، بل تجلى بمثابة القيمة والمثل فغدا وجوده في نظر الانسان الإيراني ، حضورا مجردا غير محسوس ، إذ أنه كان يقيم في ضمائر الجماهير وقلوبها ، لذلك كان ذا نفوذ يكاد يكون اسطوريا ، إن لم أقل ميتافيزيقيا ، إذ كان بمثابة الحنين إلى كل خير ، وهكذا وجدته حاضرا في غيابه وساحرا في حضوره ، ففي شخصه اندمج يومذاك الخيال في الواقع ، والأمنية في الحقيقة والمجرد في المحسوس والذات في الموضوع فالخميني حين عودته ، كان قد أصبح من أولئك الزعماء التاريخيين النادرين الذين دخلوا عالم الأسطورة وهم لما يزالوا على قيد الحياة . فلقد غدا حينذاك

محطا للأمل ومنطلقا للواقع ، الأمر الذى ضخم فى أحجام
أشيائه ، ووسع فى آثار أقواله وأفعاله ، ولا غرو فى ذلك فالأمل
عندما يصبح عينا للواقع ، يغدو الصغير كبيرا والكبير عظيما ،
والعظيم خارقا لكل عرف ومألوف .

وهكذا أمسى الخمينى كلمة فوق الشك وفعلا فوق الجدل ،
وبدا وعده عهدا وعهده ميثاقا موثقًا باليقين ودفاقا بالأمل ،
والحق أن الخمينى ، نتيجة لكفاح ايران البطولى ، ومواقفه
القيادية الحازمة ، لم يلهب فقط الشعوب الأيرانية ، بل الهب
ايضا الكثير من الآمال الخابية فى العالم الثالث ، كما ضرب
الشرق والغرب معا بأنذهال الأعجاب ودهشة العجب ، فالعالم
كاد ينسى قبل ثورة ايران . أن للأمم مثل تلك القدرات الهائلة على
اقتلاع الطغاة ودك صروح الطغيان . وهكذا وجدت صور
الخمينى معلقة على جدران اكواخ ومساكن ودكاكين الفقراء
والمضطهدين فى قارات العالم الخمس وحتى فى جمهوريات
الاتحاد السوفياتى المسلمة . .

كل ذلك ، لا بل وأكثر من ذلك كان الخمينى قبل أن يجرفه
فجور السلطة فيتضح لنا أنه هو الكذبة الكبرى والوهم الكبير ،
ولكن كيف تمكن الخمينى من أن يكون ما كان فى انظار ايران
والعالم ؟ وكيف استطاع استهواء حتى انصار الدكتور على
شريعته ، حيث أنهم هم الذين اطلقوا عليه لقب الامام ، هذا
اللقب الذى لا يجوز ، فى المذهب الجعفرى ، اطلاقه على غير
الأثنى عشر اماما ؟ وكيف تمكن من أن يجمع حوله الماركسى
المتطرف من ليننى وتروتسكى وستالينى وماوى ، والفوضوى

والوجودى والعدوى والعامل ورب العمل والبائع والشارى
والمتقف والجاهل والمؤمن والملحد وحتى المرأة لم يوفرها من
سحره ؟

لقد قلنا فى مقالة سابقة من هذه السلسلة . أن الخمينى كان
بارعا غاية البراعة فى خطته وخطاه التكتيكية فلقد اتبع فى مساره
السياسى خطين متوازنين كفيلين بأشاعة الثقة والطمأنينة فى
صدور الجميع ماعدا أولئك المنتفعين مباشرة بالشاه ونظامه .
وهؤلاء لم يكونوا يشكلون سوى أقلية ضئيلة للغاية من شعوب
الأمة الأيرانية ، فلقد كان أولا ينادى بأن اتوقراطيه الشاه لن
تخلفها اتوقراطيه رجال الدين التيقراطية وأن النظام البديل
لنظام الشاه سيكون نظاما ديمقراطيا وأسلاميا ، وقد صرح فى
شهر نوفمبر من عام ١٩٧٨ بأنه وجميع أعوانه من رجال الدين لا
يطمحون إلى أية سلطة أو منصب سياسى وأن جمعية تأسيسية
منتخبة انتخابيا حرا هى التى ستتولى وضع دستور هذه
الجمهورية الإسلامية وأن دستور هذه الجمهورية سينص
صراحة على السماح بتعدد الأحزاب السياسية ، بما فى ذلك
الحزب الشيوعى الملحد .

وبعد أن طمأن الخمينى القوى السياسية والاجتماعية الى أن
استبداد الشاه لن يخلفه استبداد رجل الدين ولا التسلط
التيوقراطى ، ذهب الخمينى فى بذل الوعود الى حد اعلن عنده أنه
سيساوى بين المرأة والرجل فى الحقوق السياسية وقد جاء ذلك فى
تصريح ادلى به فى اليوم الرابع والعشرين من شهر نوفمبر عام
١٩٧٨ . وقد بلغ الخمينى من الدهاء التكتيكي مبلغا جعله فى

جميع انشطته السياسية يتجنب تحديد موقفه من أى موضوع أو أمر من شأنه أن يثير الانقسام في صفوف المعارضة . ولذلك وجدته لا يتطرق إلا الى المواضيع التى تحظى بالموافقة الاجماعية لجميع الأطراف فكان يهاجم الامتيازات التى منحها الشاه للغرب وكذلك التحالف السرى القائم بين النظام الشاهنشاهى وبين اسرائيل . ولم يوفر من هجماته اهدار الاموال الطائلة على التسلح والفساد المستشرى في البلاط والدوائر العليا والطبقة الطفيلية من السماسرة والوسطاء وارتفاع أسعار ضروريات الحياة وهبوط فعاليات الاقتصاد الزراعى ، وتدهور أوضاع الريف ، وأزمة السكن والبؤس المطوق طهران بأكوخ الصفيح ، والهوة المتزايدة اتساعا بين الفقراء والأغنياء والتوسع في أجهزة البيروقراطية وخرق الدستور والخروج على القوانين وتعطيل الصحف والأحزاب . والأعتقال التعسفى والمحاكم الاستثنائية وكان الخمينى حين مهاجمته لجميع الأمور الآنفه الذكر . ينتهى الى التأكيد على أنه سيطلق الحريات السياسية وسيضمن حقوق جميع الأقليات الطائفية ، باستثناء الطائفة البهائية ، وسينشر العدالة الاجتماعية بين الجميع : إذ أنه كان يقول أن التوحيد في الإسلام يعنى في واقعه ، انعدام الفوارق الطبقيه بين الناس ، وقيام المجتمع اللاطبقى ولا خلاف أن جميع المواضيع الآنفه الذكر . مواضيع تجمع ولا تفرق ومتفق عليها بداة بين مختلف طبقات الشعوب الإيرانية باستثناء الطبقة المنتفعة بالنظام الشاهنشاهى ، كما سبق لنا القول ويجدر بنا أن نشير هنا الى أن

الخميني وطوال فترة منفاه خارج ايران لم يتطرق ابدا الى موضوع الإصلاح الزراعى ولم يتقدم ولو بفكرة واحدة تلقى شيئا من ضوء على موقف الدولة من رأس المال ومن العمل ولم يحدد التحديد الواضح مهام الدولة وواجباتها الاجتماعية ازاء المواطن في حالة المرض والبطالة . وزبدة القول أن نظام الخميني حزبا ودولة لم يعلن حتى كتابة هذه السطور مناهجه السياسية والاقتصادية والاجتماعية فهو لا يزال يدور في متاهات العموميات والتجاريد لذا تراه يلجأ في سياسته الداخلية والخارجية الى كل وسيلة تبقى الشعوب الايرانية داخلا وخارجا في حال من توتر وقلق دائمين .

((ج - الخميني وأمريكا))

بعد شهر نوفمبر من عام ١٩٧٨ تحولت الولايات المتحدة الأمريكية عن مساندة الشاه وعلى الرغم من أن وزارة الخارجية الأمريكية بدأت منذ منتصف ربيع ذلك العام تنذر الرئيس السابق كارتر بقرب سقوط الشاه ونظامه غير أن كارتر وبرجنسكى بقيا الى ما بعد يوم الجمعة الأسود الواقع في الثامن من سبتمبر ، راسخى القناعة بأن الشاه سيتجاوز بنجاح الأزمة التى يعانىها ، وهكذا وجدت الرئيس كارتر يرسل بعد مذبحة يوم الجمعة الأسود ببرقية الى الشاه يعلن فيها دعمه غير المشروط للشاه ولنظامه ولكن ما كاد ينصرم شهر سبتمبر حتى طلب الرئيس الأمريكى كارتر من السيد جورج بول وكيل وزارة

الخارجية السابق والمعروف بنقده للشاه أن يقدم اليه تقريراً عما يراه في الأزمة الإيرانية وقد نصح جورج بول كارتر قائلاً : بأن الشاه لن ينجو من الأزمة ما لم يبادر فوراً الى التخلي عن معظم سلطاته الحالية الى حكومة مدنية تستند الى قاعدة شعبية عريضة ومن ثم ارسلت الحكومة الفرنسية بكتاب الى البيت الأبيض ولم يكن كتابها ذاك يختلف في فحواه من حيث تحليله وتقويمه لأوضاع الشاه عن تقرير جورج بول لكن كتاب الحكومة الفرنسية كان يذهب الى حد القول بأن الخميني سيكون مستعداً للتعاون والغرب الى اقصى الحدود ، نظراً لأنه عدو بالمبدأ والفطرة للشيوعية وقد نصحت الحكومة الفرنسية الخميني كذلك بأعلان موقفه من اليسار والشيوعية فاستجاب الخميني لنصيحة فرنسا وأنطلق وأعوانه يشنون حملة من هجوم عنيف على اليسار وأعلن الخميني أن حزب توده الشيوعي يتعاون والشاه وأن الماركسيين يتآمرون . على طعن الأسلام والغدر بالمسلمين وأتهم الاتحاد السوفياتي بأنه دولة استعمارية تركبها مطامع ما أنزل الله بها من سلطان وأنهى قوله : أنه حالما يسقط الشاه ونظامه فإنه يتعهد بتزويد الغرب بكل ما يطلبه من البترول وأنه سينشئ العلاقات الودية مع الولايات المتحدة الأمريكية .

ومن الطريف لابل من المفارقات الساخرة أن الخميني بعد أن غادر الشاه إيران وعزم على العودة من باريس الى طهران وقبل أن يستأجر طائرة لنقله الى طهران علمت المخابرات الأميركية بما اعترمه فاتصلت بالمرحوم صادق قطب زاده (الذي اعدمه الخميني مؤخراً) وطلبت منه أن يؤجل الخميني سفره مدة ثلاثة

أيام لكي يتمكن الأميركيان خلالها من احباط المؤامرة التي تهدف الى اسقاط طائرة الخميني قبل أن تحط في مطار طهران ورغبة في التأكيد من ضمان سلامة الخميني اتصلت المخابرات الأميركية أيضا بشركة الخطوط الجوية الفرنسية التي كان الخميني يفاوضها على استئجار إحدى طائراتها وأذرتها بما أذرت به صادق قطب زاده وقد استجاب الخميني لنصيحة المخابرات الأميركية التي عادت بعد ثلاثة أيام كما وعدت لتعطيه الضوء الأخضر للأقلاع الى ايران حيث كان الجنرال هويسر الأميركي قد انتهى من تحييد أو بالأحرى منع القوات المسلحة الإيرانية من القيام بأنقلاب عسكري لحسابها أو حساب الشاه الذي سنتحدث في حلقة تالية عن جهوده اليائسة لأنقاذ عرشه ونظامه ولا سيما بعد أن تأكد من أن الولايات المتحدة الأميركية قد تخلت عنه صديقا وشاها ونظاما فالدول ليس لها اصدقاء دائمون بل مصالح دائمة ...

$\frac{d}{dt} \left(\frac{\partial L}{\partial \dot{x}} \right) = \frac{\partial L}{\partial x}$

ايران بين العلمانية والاسلام

قلت ان الاسلام كان طوال الخمسينات والستينات من هذا القرن ، هدفا لاشرس هجوم تعرض له في تاريخه ، وذلك بعد ان وضعت الحرب العالمية الثانية اوزارها وخرج منها الاتحاد السوفيتي منتصرا ذلك الانتصار الذي كرسه دولة عظمى ، حيث تجاوز مساحة وسلطانا ونفوذا كل حلم من احلام روسيا القيصرية وكل مطمع من مطامع قياصرتها ، اقول بعد كل هذا ، غدا كل ما هو سوفيتي او روسي او ماركسي ، موضوعا للبحث وهدفا للتطلع ومحطا للفضول ..

ويعود السبب في ذلك الى ان ستالين بعد ان تغلب على تروتسكى ونفاه الى خارج الاتحاد السوفيتى ، وبعد ان وطد سلطانه داخل الحزب والدولة معا ، ضرب التروتسكيين والتروتسكية القائلة بالثورة الدائمة وبتصدير الثورة الى شتى اقطار العالم ، كما شل ايضا الكومنترن (اتحاد الاحزاب الشيوعية) وعطل فعالياته وفرض على الشعوب السوفيتية حياة من عزلة دولية جعلت الاتحاد السوفيتى يبدو كأنه دولة تقع في كوكب اخر غير كوكب الارض ، لذلك عندما جاء هتلر بحربة ليخرج الاتحاد السوفيتى الى عالم الضوء ، وليمتحنه ذلك الامتحان الرهيب بدمويته امام شعوب العالم ، ولاسيما شعوب العالم الثالث ، تركزت انظار الشعوب على الاتحاد السوفيتى واخذت ترصده في حالتي الكرو والفرصد الفضولى الطموح ، اذ ان كل ما كان يصدر انذاك ، عن الاتحاد السوفيتى وعن السوفيتية وبخاصة الستالينية منها ، كان جديدا كل الجدة على شعوب العالم الثالث ولاسيما على ابناء هذه الشعوب من المثقفين وقادة الراى وذلك لان السوفيتية اى الماركسية في ميدان التطبيق ، كانت في نظر هؤلاء بمثابة الاحبة المغلفة بلغز ، وكانت حقيقة السوفيتية العالمية لم تنجل بعد انجلاءها عن الامبراطورية الروسية العضوض التى يعانىها المعسكر الشرقى اليوم .. فاذا اصفنا الى ذلك ان معظم شعوب العالم الثالث كانت حتى اواخر الاربعينات والستينات لا تزال خاضعة لاستعمار المعسكر الغربى الذى يدين بايديولوجية تختلف كلياً عن الايديولوجية السوفيتية .. وكانت تلك الشعوب تخوض نضالا

داميا ضدالضرب بغية التحرر والاستقلال وكان العالم قد انقسم
يومذاك الى معسكرين غربى وشرقى وكان هذان المعسكران
يعيشان حالة رهيبة من الحرب الباردة التى كانت تهدد بتحولها
الى حرب ساخنة ، وكان المعسكر الشرقى بزعامة الاتحاد
السوفيتى يغتنم كل فرصة ليظهر لشعوب العالم الثالث بمظهر
نصير كل حركة تحرير وتحرر وكان يبدو حتى فى انظار العاقلين
حليفا ضروريا فى مرحلة تكنيكية معينة وفى انظار الاغبياء او
المضللين الحليف الاستراتيجى الوحيد ، لذلك كله وجدت
الماركسية ذروة العلمانية المادية السياسية ، الطريق ممهدة
امامها الى غزو السذج من العقول والابرياء من اصحاب القلوب
الطيبة ومن ثم جاءت اسرائيل لتزيل من امام الماركسية
السوفيتية ، ماتبقى فى طريقها من عقبات اذ ان الاتحاد
السوفيتى اصبح المورد الوحيد لاسلحة جيوش بعض الاقطار
العربية التى اقدم بعض ضباطها على عسكرة انظمتها السياسية
وعلى اعلان الثورية دستورا والاشتراكية الانتزاعية برنامجا
ومنهجا .. وبذلك توفر للعلمانية المادية ، ولمثلها الاتحاد
السوفيتى جميع الاجواء السلطوية والشعبية للهيمنة على شعوب
العالم الثالث تلك الهيمنة التى مكنت الماركسية السوفيتية من
صهرحتى الحركات القومية فى العالم الثالث فى بوتقة الاشتراكية
الانتزاعية الامر الذى يعنى فقط المحاولة الجديدة الرامية الى
اقتلاع الجذور الاسلامية من تربة المنطقة وذلك لان الاسلام كان
ومازال السد المنيع امام كل نظام اجتماعى يقوم على الالحاد
وامام كل تيار وافد يرمى الى طمس الهوية العقيدية لشعوب

المنطقة ، وكل نزوع استعماري يهدف الى السيطرة عليها ..
ويجدر بي هنا ان انوه بالدور الطليعى الذى قامت به المملكة
العربية السعودية طوال تلك الحقبة الكئيبة من تاريخ المنطقة ..
فلقد كانت المملكة هى الدولة الوحيدة التى رفعت التضامن
الاسلامى شعارا فى السياسة الدولية والعدالة الاجتماعية بديلا
للاشتراكية .. واكدت على الاسلام نقيضا للعلمانية المادية ،
وتصدت بشجاعة وحزم لكل تيار وافد ووقفت صامدة امام
العواصف العاتية ، فى محيط تتفجر فيه المادية ثورات هوجاء
وانقلابات رعناء ..

والحق يقال ان العلمانية المادية مدعومة بوسائل الجوقة
الشيوعية العالمية كادت تطغى على كل عقيدة اخرى ، او
ايدولوجية غير مادية ، وهكذا شاهدت مثلا البعثية والناصرية
تستأثران بالساحة فى بعض الاقطار العربية وتتعانقان
والماركسية عناق الازواج او العشاق ، ورأيت حزب تودة
الشيوعى الايرانى وحركة فدائى خلق الايرانية يشكلان القوة
الضاربة من قوى المعارضة الايرانية ، وذلك بعد انهيار عهد
مصدق وانسحاب ايات الله الممثلين بآية الله الكاشانى ، من
الميدان السياسى او بالاحرى مساندتهم السافرة والمستورة
للشاه ونظامه الامر الذى وفر للماركسية السوفيتية والماوية
وحتى التروتسكية ، ان تبيض وتصفّر فى ايران ووفر لاتباع تلك
الضلالات جميع الظروف لاتهام كل مسلم بالجمود والرجعية
والعمالة للاستعمار ، وكذلك اتاح ايضا للشاه جميع الفرص
لمتابعة سيره فى طريق قوميته العلمانية ، وهكذا وجد الاسلام

نفسه في ايران يحارب في جبهتين جبهة العلمانية الشاهنشاهية وجبهة العلمانية الماركسية ، لكن الدكتور على شريعتي كان في واقع الحال يقاتل في جبهات ثلاث ، وهى الجبهتان الانفتاحي الذكر ، بالاضافة الى جبهة المتزمتين والجامدين من كهنوت الطائفة الشيعية ..

ب (من يكون شريعتي هذا :

تضاربت الاراء في تحديد هوية على شريعتي العقائدية فلقد كان البعض يقول انه افضل من رد على كارل ماركس ونقض فلسفته ، ودلل على ان في الاسلام الاجوبة والحلول الصحيحة لجميع قضايا المجتمع ومشاكل الدولة ، وقال البعض الاخر من رجال الدين الذين اتهمهم الدكتور على شريعتي بالجمود والتزمت ، ان ماجاء به الدكتور انما هو بدع لا يقرها الاسلام ، وقد كان من ابرز معارضيه في هذا الحقل اية الله مرتضى مطهرى تلميذ الخميني الاثير ، وقال فريق ثالث ان على شريعتي ماركسي العقيدة ويتستر بالاسلام ، وقال الماركسيون ان على شريعتي مسلم متطرف وخطر غاية الخطورة وذلك لانه يستخدم جدلية تستند الى العلم والميتافيزيقا وذات قدرة هائلة على استهواء المثقفين والجماهير معا .. ولكن على شريعتي كان في واقع الحال تطورا او بالاحرى تطويرا للمفاهيم الاسلامية السياسية والاجتماعية التي قال بها مهدي بازرگان ، والطلاقاني ومحمد ناخشاب واننى اعتقد بان السبب الرئيسى وراء تضارب الاراء حول عقيدته يعود كما ارى الى ان الدكتور على شريعتي لم يبرز

في دروسه ولا في محاضراته ولا في كتبه الخط الفاصل بوضوح بين الاستراتيجية الاسلامية وبين تكتيكها اللذين يقول بهما ، فالتكتيك ، كما نعلم قد يتخذ احيانا مسارا يبدو متعارضا كل التعارض والاستراتيجية ومنحرفا كل الانحراف عن اهدافها .. وذلك لان التكتيك ينبغي ان يكون مرنا غاية المرونة ، كي يبقى قادرا على المناورة او المداورة وحتى الانكفاء بغية استخدام الظروف من طبيعية واستثنائية رياحا تنفخ في شراع مركبه الميم شطر اهدافه ، كما اعتقد ايضا بان تداخل الاستراتيجية في التكتيك عند الدكتور على شريعتي يعود الى ان تنظيره اعتمد القاء المحاضرة او الدرس لا وضع الكتاب ، الامر الذي يؤدي حتما الى التمازج بين العموميات والتفاصيل كما هي الحال والفيلسوف الالماني هيغل الذي تتألف معظم مؤلفاته من المحاضرات التي كان يلقيها على طلابه في جامعة برلين. لكنني اعتقد ايضا بان الامام موسى الصدر كان من ابرز من طبق نظريات الدكتور على شريعتي واعتمد اساليبه حينما انشأ في لبنان حركته الشهيرة باسم حركة المحرومين التي سرعان ما اصبحت السد المنيع امام الشيوعية والشيوعيين ..

وقد نجح الامام الصدر كل النجاح في تجربته اذ غدا الشخصية الاولى في الطائفة الشيعية اللبنانية ، كما يعود الفضل ايضا الى الدكتور شريعتي في تحويل العدد العديد من المثقفين الايرانيين عن الماركسية وترسيخ جذورهم في تربة الاسلام ، فاذا اضفنا الى كل ذلك اسلوبه البسيط في مخاطبه وتحاوره والبسطاء من الناس ندرك مدى ماكان له من الشعبية العريضة

ج (شريعتى والقومية :

عندما كان الشاه فى عام ١٩٧١ يحتفل فى بارسيبلوس ، ذلك الاحتفال الباذخ بمرور الفين وخمسائة سنة على تأسيس المملكة الفارسية ، ذات القومية الارية كان الدكتور على شريعتى يعلن فى احدى المحاضرات التى القاها فى حسينية الارشاد بطهران ، انه ليست لايران اية قومية اخرى ماعدا القومية الاسلامية وان العودة الى الجذور الحضارية الايرانية تعنى فقط العودة الى الجذور الاسلامية فى تربة ايران حيث ورد فى كتابه الشهير بعنوان الحضارة والتقدم قوله التالى :

« ان البعض منكم يقول بانه ينبغى لنا نحن معشر الايرانيين ان نعود الى جذورنا العنصرية الارية ، اننى ارفض هذا القول جملة وتفصيلا واننى اناهض العنصرية والفاشية والعود الارتجاعى ، ان الخبراء من الجيولوجيين وعلماء التاريخ قد يعرفون بالكثير عن الساسانيين وسواهم ، وقد يكونون عارفين ايضا بحضارات اخرى اعرق قدما من حضارة الساسانيين ، لكن شعوبنا الايرانية لا تعرف باى شىء عن امور كهذه فشعوبنا لا ترى جذورها ولا تعثر عليها فى حضارات كتلك ، كما ان ذكرى ابطال وعباقره واساطير واقامة النصب والتماثيل لمثل تلك الامبراطوريات الغابرة لا تثير ولا تستثير اية عاطفة او انفعال فى نفوس جماهيرنا التى لا تتذكر ولا ترغب فى تذكر اى شىء يعود الى الحضارات السابقة للحضارة الاسلامية لذلك نقول ، ان العودة

الى جذورنا لا تعنى اطلاقا العودة الى ايران ما قبل الاسلام بل الى جذورها الاسلامية المحضة وان ابناء هذا المجتمع الاسلامى هم بحكم فطرتهم الاسلامية مناهضون قولاً وفعلًا لجميع انواع الاستعمار والاستعباد ، والاستغلال والظلم الاجتماعى ، وان عظمة الاسلام تتجلى فى انه بالاضافة الى كونه ديناً ، انما هو ايضا نظام اجتماعى يستهدف القضاء على الفقر وتجسيد المساواة والاخاء بين الناس واقامة مجتمع لا طبقية فيه ولا طبقات ..

د) شريعتى والماركسية :

شن الدكتور على شريعتى حملة شعواء على الماركسية والماركسيين ولعل اوضح حملاته هى تلك الواردة فى كتابه الشهير بعنوان « العودة » حيث يقول :

« عندما اتأمل فى ادبيات حزب تودة الشيوعى (الايرانى) فاننى لا اجد فيها الا عناوين كالعناوين التالية « المادية التاريخية ومعرفة عناصر المادة والمفهوم المادى للانسانية والاسس المادية للحياة والفكر » . الامر الذى يجعلنى والجماهير مصيبين حينما افهم ان كلمة الشيوعية مرادفة فى معناها لكلمة الالحاد ، ولا غرو اذا وجدنا ان انطباعات الجماهير عن الشيوعيين تقول بان هؤلاء ملحدون ، واعداء لله والوطن والدين والاخلاق والروح والقداسة والشرف والحقيقة والتقاليد ..

ويرى الدكتور على شريعتى ان العامل الاساسى المولد لديناميكية التاريخ ، ليس العامل الاقتصادى كما يعتقد

الشيوعيون ، بل انه العامل السياسى وان الامة لا تستطيع ان تكون قوة فاعلة فى التاريخ مالم تستعد هويتها الحضارية ، وقد تبدت نظرية شريعتى هذه فى فاعلية الامة فى الجدل الذى دار بينه وبين الروائى اليسارى الشهير والمارتنيكى المولد والذى عمل لفترة رئيسا لتحرير جريدة المجاهد الجزائرية ، وعالم النفس ايضا (عمر) فانون الذى قال بان شعوب العالم الثالث لن تتمكن من مقارعة الاستعمار مالم تتخلى عن اديانها ، وقد رد الدكتور على شريعتى بأن مقارعة الاستعمار الناجحة تكون وتبقى مشروطة باستعادة كل امة من امم العالم الثالث لهويتها الحضارية الامر الذى لا يمكن ان يتحقق الا بعودة الامة الى جذورها الدينية ، التى تؤكد وترسخ وحدتها كأمة وترهف حسها الجماعى ، فلقد كان الدكتور شريعتى يرى ان الترابط الضميرى لا الترابط المصلحى هو الشرط الاساسى للامة ..

ومن ثم ينتقل الدكتور شريعتى الى شن اعنف الهجمات على الاحزاب الشيوعية اذ يصفها بانها غدت مؤسسات بيروقراطية محضه ، وانها افرزت طبقة جديدة اوسع امتيازا وسلطانا من الطبقة الرأسمالية المعروفة فى الانظمة الليبرالية وبهذا يلتقى على شريعتى والزعيم الشيوعى سابقا من حيث نظرته الى المجتمع الذى انشأته الشيوعية فى دول المعسكر الشرقى واعنى بهذا الزعيم المفكر اليوغوسلافى الكبير والزعيم الشيوعى السابق ميلفين دوجلاس الذى كشف عن حقائق المجتمع فى الدولة الشيوعية وعن موازينه ونوعية عدالته الاجتماعية وذلك فى كتابه الشهير بعنوان « الطبقة الجديدة » ..

اضف الى ذلك ان الدكتور شريعتى لا يغفل عن الاشارة الى
المظالم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التى يعانىها ابناء
مجتمعات دول المعسكر الشرقى كما لا يغفل ايضا عن استنكار
الانتهازية الفاضحة التى يمارسها الاتحاد السوفيتى فى علاقاته
بشاه ايران ..

وينتهى على شريعتى الى المطالبة بان يكون للمثقفين دور لا
يقل اهمية عن دور رجل الدين ، شريطة ان يكون المثقفون
عميقى الجذور فى تربة الدين .

تلك هى عجالة من نظرة الى ذلك المفكر الاسلامى الكبير
الدكتور على شريعتى الذى كان له الفضل الاكبر فى حشد معظم
المثقفين الايرانيين حول الخمينى ولا خلاف ان شريعتى لو كان لا
يزال حيا فى ايران الخمينى ، لكان اليوم اما رهين السجن او
القبر او المنفى ، اما اشهر مؤلفات على شريعتى فهى تاريخ
الاديان « العودة » من اين نبدأ الماركسية وضلالات غربية
اخرى ؟

« الانسان والاسلام » وهذه جميعا جديرة بالدرس
والتأمل ..

هيكلية السلطة فى ايران ..

أ - مدخل :

يحتفل دستور جمهورية ايران بمفارقات ومتناقضات واستقطابية مستأثرة ومستغلقة و متمحورة حول شخصية واحدة هى شخصية الفقيه وذلك لان الفقيه . استنادا الى الدستور الايرانى الحالى يجمع ، فعلا وواقعا ، فى شخصه السلطات الثلاث ، التشريعية والتنفيذية والقضائية ، وهو فى الوقت ذاته ، وايضا استنادا الى الدستور الايرانى ، قادر على ان يضرب عرض الحائط حتى بارادة الشعب ورغبات الأمة ، حتى ولو جاءت تلك الارادة او هذه الرغبات نتيجة لاوسع الانتخابات حرية والاستفتاءات نزاهة وحيادا ، الامر الذى يعتبر فصلا جديدا يضاف الى تاريخ الطغيان ومنهجها فريدا من نوعه من مناهج الطغاة فى ممارسة التسلط والاستبداد فى الحكم وذلك لان الفقيه وفقا للدستور الايرانى فوق ارادة الشعب ورغبة الأمة ، فهو ليس ممثلا للأمة بل وصى عليها ، ومطلق الصلاحية فى تصريف شؤونها وتدبر امورها فجمهورية الفقيه لاتتألف من مواطنين بل من رعايا .

ب - ولاية الفقيه او الحكومة الاسلامية :

خلال الستينات واثناء اقامة الخميني في النجف الاشرف بالعراق القى الخميني عددا عديدا من الدروس الدينية وقد جمعت هذه الدروس في كتاب يحمل عنوان « ولاية الفقيه » او الحكومة الاسلامية .. ولكن هذا الكتاب ماكاد يصدر في مطلع السبعينات حتى اثار ذعرا شديدا في اوساط المعارضين لنظام الشاه ولاسيما الشباب المثقفين منهم ، وذلك لان سلطات الشاه بدت امام السلطات التي يريدها الخميني للفقيه ، سلطات محدودة بشروط وقيود ، بينما ان سلطة الفقيه سلطة لا يحدها حد ولا يقيدها شرط ، وبدا نظام الشاه امام نظام الفقيه نظاما مقيدا ومسؤولا بينما تبدى نظام الفقيه طليقا من كل قيد ومتحررا من كل مسؤولية ، الامر الذي ارغم اعوان الخميني ومريديه على المسارعة الى الاشاعة بين الناس ان معظم ماورد في كتاب ولاية الفقيه مدسوس على الخميني وان السافاك « الاستخبارات الايرانية » هي التي قامت بدسه وتلفيقه ونسبه الى الخميني بغية اشاعة البلبلة بين المعارضين وتشتيت صفوفهم ، والحق ان الخميني في كتابه « ولاية الفقيه » كان صريحا للغاية في اعتباره الامة كما مهما وذلك لان الفقيه كما يقول الخميني لا يمارس سلطته بتكليف من الامة ، بل بتكليف من الامام الغائب الامام الثاني عشر لذلك فلا يحق للامة ان تسأله او تسائله ، ان تناقشه او تحاسبه عن اى عمل يأتية او اجراء يتخذه ، ومن الطريف ان الخميني لا يزعم لفقيهه المعصومية ، التي تقول بها البابوية ، بل يزعم له ايضا الحق الالهى في حكم

البشر فالفقيه في نظر الخميني معصوم من الخطأ ، وسلطة الفقيه سلطة الهية يمارسها على الامة بتكليف من الله من خلال الامام الثاني عشر ، وهكذا نرى ان نظرية الخميني في الحكم وفلسفته في سياسة الناس ، متناقضتان شكلا وجوهرا والاسلام في مفهومه للحكم ، حيث ان الاسلام يقرر ان الامة لا تجمع على الخطأ ، الامر الذي يعنى بصراحة ان الحاكم مسؤول المسؤولية المباشرة امام الامة عن كل عمل يأتيه ، كما وانه يقرر بصراحة ايضا عدم معصومية الحاكم عن الخطأ كما وان كل انسان خاضع للرقابة والنقد والتقويم وحتى العزل او الخلع بدليل ماورد على لسان الخليفة الاول ابي بكر الصديق رضى الله عنه ، حين توليه الخلافة حيث قال :

ايها الناس اننى قد وليت عليكم ولست بخيركم ، فان احسنت فاطيعونى وان اسأت فقومونى .. اطيعونى ما اطعت الله ورسوله فاذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم »

ج - سلطة الفقيه :

ينص الدستور الايرانى على ان الفقيه هو القائد الاعلى للجيش والقوات المسلحة الايرانية كما يحق للفقيه ايضا ، بموجب الدستور الايرانى ان يعزل رئيس الجمهورية وان يحل مجلس الشورى « النواب » وان يقلل الحكومة دون الرجوع الى الأمة ، فلقد عزل الخمينى ابا الحسن بنى صدر من منصبه كأول رئيس للجمهورية على الرغم من ان الشغوب الايرانية هى التى انتخبت بنى صدر لهذا المنصب . باكثرية تقارب خمسة

وسبعين بالمئة من اصوات الناخبين والحق ان المتأمل في ديباجة الدستور الايرانى وفي مواده ليدرك فورا ان هذا الدستور ، قد جرى اشتراعه ، انطلاقا من الرغبة في تحييد « اى ابطال مفعول كل سلطة ماعدا سلطة الفقيه فتأليف الوزارة يتم بالاتفاق بين رئيس الجمهورية وبين مجلس الشورى » النواب « على اشخاص الوزراء ورئيسهم ، الامر الذى يمكن الفقيه من المناورة والمداورة والحرية في اختيار الوزارة رئيسا واعضاء ، وحتى الذهاب الى ابعد من ذلك كله ، الى حل مجلس الشورى او عزل رئيس الجمهورية . ولاشك اننا جميعا لانزال نذكر الخلاف الشديد الذى نشب بين بنى صدر وبين مجلس الشورى حول تسمية وزير الخارجية ، وكيف ان هذا المنصب بقى شاغرا الى ان تم عزل بنى صدر وانتخاب رئيس جمهورية جديد ، ولاخلاف ان قاعدة التحييد المستند اليها الدستور الايرانى ، تجعل من هذا الدستور طرفة الطرائف ، وذلك لان المسؤول دستوريا لايحكم والحاكم الفعلى غير مسؤول ، اذ ان الفقيه كما سبق لنا القول ، غير ملزم دستوريا بتقديم اى حساب عن اى عمل امام اى مرجع نظرا لانه يستمد سلطانه من الامام الغائب لا من الامة ، اما اذا قال احدهم بان هيئة المجتهدين تراقب اعمال الفقيه وترصد افعاله فاننا نقول ان هذه الهيئة لاوجود لها حاليا ، كما ان اختيارها يستند الى تجاريد ضبابية تفتح الابواب على مصارعها امام الفقيه لاختيار اعضاء تلك الهيئة حسبما يريد ويشتهى .

ويجدر بنا ان نشير هنا الى ان الخمينى بالذات لم يكن

معصوما عن الخطأ ، ففي عام ١٩٤٢م حينما اصدر كتابه المعروف بعنوان « كشف الاسرار » قال انه لايجوز البتة « للمجتهدين » اسقاط الحكام حتى ولو كانوا ظلمة فاسدين .. ولكنه في عام ١٩٦٢م تراجع عن قوله الانف الذكر ، اذ قال ان للفقيه كامل الحق ان يحكم ومطلق الصلاحية في تدبير شؤون الناس وهو مطالب باسقاط كل نظام فاسد وحكومة ظالمة . وعلى كل حال فاننا سنتوسع في بحث موضوع الفقيه وسلطاته فيما بعد .

د - مراكز القوى :

لا توجد في ايران اية سلطة ماعدا سلطة الفقيه ، اى الخميني ، ولذلك نقول ان مؤسسات الدولة ، انما هي مظاهر استوجبتها تقاليد عصرنا واعرافه ، فرئيس الجمهورية وحكومته ومجلس الشورى وحتى القضاء . انما يتحركون بتحريك الفقيه ويسيروا في الطريق التى رسمها لهم ولكن هناك فى جمهورية الخميني مراكز قوى وتيارات متضاربة وقوى متطاحنة ومن الطريف ان مراكز القوى هذه قد خلقها الخميني بالذات ودفع بها الى التصارع رغبة فى تحييدها او تبديدها بغية الحفاظ على سلطانه الدستورى المطلق ، ففي الحزب الجمهورى الاسلامى مثلا .. ثلاثة تيارات متطاحنة ، انها اولا تيار على خوميني رئيس الجمهورية ، وهذا التيار شديد التطرف ويلتقى بتيار التكتل المعروف باسم تكتل حجتيه الذى يترأسه محمود الحلبى وينادى بتصدير الثورة الى كافة البلدان الاسلامية وهناك ثانيا تيار يعتبر

معتدلا بعض الشيء اذا ما قيس بتيار الخوميني وحجتيه واعنى بهذا التيار تيار رافسنجاني رئيس مجلس الشورى .

ويحاول رافسنجاني اليوم بموافقة الخميني . او بالاحرى بطلب منه ، ان يستعيد ثقة فلول الليبراليين كمهدي بازرقان وكريم سنجابي وصحابي و ابراهيم يازدى وغيرهم بالنظام ومن ثم تعاونهم من جديد والخميني ، وقد جاء التعديل الوزاري الاخير بمثابة محاولة لاعداد مناخ صحي لبدء حوار غير مباشر بين فلول اولئك الليبراليين وبين الخميني من خلال رافسنجاني .

ويبدو ان رافسنجاني قد فشل في مهمته هذه ، الأمر الذي يفسر ، كما اعتقد ، موافقة الخميني على اعدام صادق قطب زاده وبعض رفاقه الاخرين من المحسوبين على التيار الليبرالي .

وهناك ثالثا تيار يكاد يكون مستقلا ، ويستقطبه اية الله حسين منتظري الذي يعتبر ولي عهد الخميني ، وعلى الرغم من ان منتظري يحاول دائما ان يكون القاسم المشترك بين التيارين الانفي الذكر (تيار الخوميني وتيار رافسنجاني) غير ان طاقته العقلية المحدودة وسذاجته الفطرية وعدم توازنه العاطفي وضعف شخصيته وهوائية مزاجه وارتباطه الوثيق بجناح معين من اجنحة الحرس الثوري الاسلامي ، كل ذلك يجعله أحيانا اشد تطرفا من حجتيه وفاقد لقدرته على الاستهواء كخليفة للخميني وكفقيه منتظر ، وكضامن لاستمرارية النظام القائم اليوم في ايران .

وينبغي ان لا ننسى هنا ذلك الحزب الغوغائي الهزلي والمسلح بالهراوات والسلاسل والسكاكين والمكلف من قبل الخميني

بتأديب العصاه ومداهمة بيوتهم والتنكيل بهم واخراس كل معارضة ومعارض واعنى بهذا الحزب ذلك الحزب الذى يسمى نفسه « حزب الله » ولقد كان ابراهيم يازدى وزير الخارجية ابرز من نكل بهم الحزب المذكور .. ومن الطريف انه كان للشاه المخلوع تجمع من اردل الناس يشابه عناصر وطبائع ومهام ذلك الحزب الانف الذكر ، وكان ايضا يجادل الناس بالهراوات والسلاسل والسكاكين ، مجادلة حزب الخمينى لهم اليوم ..

هـ - الحرس الثورى الاسلامى :

لا خلاف ان الحرس الثورى الاسلامى هم اشد مراكز القوى اهمية ونفوذا ، ويكاد يكون المركز الوحيد المسموع الكلمة لدى الخمينى وجميع اجهزته من رئاسة الجمهورية حتى القضاء ولا غرو فى ذلك فالحرس الثورى الاسلامى هو العمود الفقرى للنظام القائم ، وهو سياج السلطة الحاكمة ووسيلتها الوحيدة للتعامل وايران شعوبيا ومجتمعا ودولة ، وهو بالاضافة الى ذلك لابل وفوق ذلك السد المنيع فى وجه بونايرتية كبونايرتية رضا بهلوى والد الشاه المخلوع ، ولكن الحرس الثورى الاسلامى ، وبعد ان تجاوز عدده المئتى الف وتسليح بجميع انواع الاسلحة بمختلف عياراتها ماعدا الطائرات ، قد اصبح بدوره الطريق المختصر الى الاستيلاء على السلطة ، ولذلك فان كل طامع بالسلطة يتجه نحو تجنيد الانصار من منسوبى الحرس الثورى الاسلامى ، وهكذا نرى حتى الشيوعى يتنافس وينافس سرا الخمينى على ولاء الحرس ، ونرى كل تيار من تيارات الحزب الجمهورى الاسلامى

يبدل غاية الجهد للاستئثار بالسيطرة على الحرس الثوري الاسلامي والاطمئنان الى مساندته ، ونرى حتى الاتحاد السوفياتي متعاوناً وحزب توده ومستقلاً عنه يتغلغل شيئاً فشيئاً في صفوف الحرس ويحاول « تشويعه » اضيف الى ذلك ان حتى فلول الليبراليين يحاولون بدورهم تجنيد الانصار من منسوبي الحرس ، فالحرس الثوري الاسلامي قد اصبح محطاً للمطامح والمطامع معا ، وان ثمة عاملين فقط هما اللذان يحافظان اليوم على وحدة الصف في الحرس الثوري الاسلامي ، واعنى بهما الحرب العراقية الايرانية والجيش الايراني الذي يتربص الدوائر بالنظام القائم وبالحرس معا ، الأمر الذي يجعلني اعتقد اعتقاداً يكاد يقارب اليقين ، بان النظام القائم ، نظام الخميني حريص كل الحرص على متابعة حربه ضد العراق اذ ان الحرب الحالية تشغل اولا الجيش عنه وعن نظامه .

وتبقى ثانياً انظار الحرس الثوري الاسلامي موجهة الى خارج حدود ايران ، وتشعره بانّه خص برسالة تصدير الثورة ، الامر الذي يؤجل انفجار المتناقضات الايدلوجية داخل صفوفه ، وتوفر ثالثاً للخميني المبررات لما تعانيه اليوم الشعوب الايرانية من ضائقات معاشيه وازمات اقتصادية وتشنجات اجتماعية وتوترات سياسية ، لذلك اعتقد ان عودة ايران الى الحياة الطبيعية ، ستكون بداية تدهور النظام القائم وسقوطه ، وقد يكون الحرس الثوري الاسلامي طليعة المتمردين على الخميني ونظامه ..

ومع ان الخميني قد انشأ ايضاً ما يعرف باللجان الشعبية

المسلحة (الكوميتات) بغية تحييد الحرس الاسلامى كقوة فعل حاسمه ، غير ان الخمينى واتباعه من رجال الدين يذكرون تماما ان الكوميتات المذكورة اضعف بكثير من ان تصمد امام الحرس او ان تتصدى له اذا ما تمرد على النظام او انقلب عليه ، لذلك اعتقد بان مقولة تصدير الثورة التى ينادى بها الحزب الجمهورى الاسلامى بمختلف تياراته ، امر حيوى غاية الحيوية لبقاء الخمينى ونظامه .

فامواج الثورة الايرانية اذا لم تتجاوز الحدود الايرانية ، فعندئذ سترتد الى الداخل لتهدم النظام الذى اوجدته اساسا وهيكلا ، وسيلقى الخمينى مصير روبسبير وتروتسكى واتباعهما .

الخميني استخدم مراجع التقليد

١ - المؤسسة الدينية :

لقد سبق لنا القول ان كل صراع داخلي شهدته ايران وسواء اتخذ شكل المظاهرة السياسية او الانتفاضة الشعبية او الثورة الاهلية ، فانما كان وحتى قبل وثوب رضا بهلوى على العرش وتربعه على اريكة السلطة صراعا بين العرش وبين المسجد ، ونزاعا بين الثكنة العسكرية من جهة وبين الحسينية والحوزة العلمية من جهة اخرى ، وذلك لأن العرش كما قلنا من قبل قد استعاض عن ولاء الشعوب الايرانية بولاء قواته المسلحة الأمر الذى وفر للمؤسسة الدينية فى ايران افضل الظروف لتصبح المحور الاساسى لابل الوحيد ، الذى تدور عليه الأمة الايرانية بجماهيرها العريضة وفى جميع انشطتها الاجتماعية والسياسية .

فالمؤسسة الدينية الايرانية كانت وما زالت المنبع والناظم والموجه لزعومية كل حركة ذات اثر فى المجتمع الايرانى وشأن فى

الحياة السياسية فلهذه المؤسسة نظام هرمى ثابت وتقاليده موروثه وتاريخ عريق فى العمل السياسى ويبدأ بنشوب النزاع المسلح بين الامام على رضى الله عنه وبين معاوية . كما وان لها نظاما من ضبط وربط صارمين . ولها ايضا مراتبها ورتبها المماثلة تماما لمراتب ورتب اكليروس ، الكنيستين الكاثوليكية والبروتستنتية ، فهناك مثلا الملا وحجة الاسلام واية الله ومن ثم اية الله العظمى والامام ، وهنا الشماس والقس ، او الكاهن ، المطران والبطريرك والكردينال والبابا . اصف الى ذلك ان هذه المؤسسة تفرض على كل فرد من اتباع طائفتها ان يدفع الخمس من دخله الى الامام او من ينييه عنه ، الأمر الذى يجعل منها مؤسسة ادارة وحكم ، علما بانه ليس فى الاسلام ثمة اكليروس وليس فيه لمثل هذه المؤسسة اية كينونة شرعية مستقلة والحق اننا اذا تأملنا فى المؤسسة الدينية الشيعية الايرانية ، وفيما لها من تنظيم ومراتب وسلطات ، ندرك ان عوامل السياسة اكثر من عوامل الاجتهاد فى الدين ، هى التى اوجدتها كيانا ونظاما . ولذلك فانها هيكل ونظاما تستهدف صراحة الاستيلاء على السلطة السياسية . اصف الى ذلك ان هذه المؤسسة تدير فى ايران ما يتجاوز الستين الف مسجد وحسينية وحوزة علمية ، اى ان لها مايزيد على الستين الف فرع منتشرة فى طول البلاد وعرضها ، ومربوط بعضها ببعض باوثق الروابط وينبغى الا ننسى هنا ان النظام الايرانى قد سبق له ان اعترف دستوريا بسلطة المؤسسة الدينية . فالدستور الايرانى الصادر فى عام ١٩٠٥ والذى الغاه الشاه رضا بهلوى ، ينص صراحة على ان

كل قانون صادر عن مجلس النواب ، لا يصبح نافذ المفعول الا بعد اقراره من لجنة تتألف من خمسة من المجتهدين . ولذلك فان لهذه المؤسسة بحكم الطبيعة والظروف والتاريخ معا كينونة مستقلة ، وقدرة هائلة لابل كاسحة على تعبئة الجماهير وتوجيهها الوجهة السياسية التي تتوخاها ، ولكن نقطة الضعف الوحيدة في هذه المؤسسة تتمثل في تعدد رؤوسها المسمين بمراجع التقليد وكان النظام السياسى في ايران يهدف في كل عمل ياتيه الى اشاعة الخلاف بين رؤوس - المؤسسة هؤلاء .

فالنظام كان يدرك ان وحدة كلمة مراجع التقليد تعنى وحدة كلمة الشعوب الايرانية لذلك كان يدرك ايضا انه اذا توحدت كلمة المراجع فعندئذ لن يستطيع النظام السياسى ان يصمد طويلا امامهم اذا اعترض سبيلهم الى ما يريدون ، الأمر الذى لم يدركه الشاه المخلوع ، وذلك لان نرجسيته الطاغية قد اعتمته عن رؤية كل حقيقة من حقائق واقع الامة الايرانية ، وكانت العامل الاساسى في توحيد صفوف المؤسسة الدينية ، وبذلك حكم الشاه بنفسه على نفسه بالسقوط وعلى نظامه بالاندثار ، فهو الذى مهد الطريق امام الخمينى زعيم المتطرفين للسيطرة على المؤسسة الدينية ومن ثم على ايران باكملها .

والحق انه حالما الت السلطة الى الخمينى سارع الى الحد من نفوذ ، لابل محاولة تصفية مراجع التقليد هذه . وكانت ابرز محاولاته اتهام اية الله كاظم شريعته مدارى بالاشتراك مع المرحوم صادق قطب الذى اعدمه الخمينى مؤخرا بتهمة التأمر على جمهوريته ولا خلاف ان كاظم شريعة مدارى يعتبر اكبر

مرجع تقليد في ايران . وهو بالاضافة الى كونه الزعيم الروحي غير المنازع لاذربيجان ، فان له عددا غفيرا من المريدين من ابناء الشعوب الايرانية الاخرى .

ب - المؤسسة الدينية والسياسة :

كانت المؤسسة الدينية حتى عام ١٩٧٧ منقسمة الى ثلاثة اجنحة . وكان اكبر هذه الاجنحة واضخمها عددا ذلك الجناح الذي يرأسه اية الله الخوئي النجفي واية الله احمد الخرساني وكذلك اية الله المرعستي النجفي . وكان هؤلاء جميعا يقولون بضرورة ابتعاد رجال الدين عن السياسة وبتركيز جميع الانشطة الدينية على شئون الدين فقط وبالاهتمام بقضايا الاخلاق ، ومحاربة التسبب واغلاق دور اللهو من نواد ليلية وصالات ميسر وسواها .

ولم تكن مطالب هذا الجناح من السلطة تتجاوز القضايا المشار اليها انفا . ولكن خلال الفترة الواقعة بين عامي ١٩٧٥ ، ١٩٧٧ وبعد ان ضجت جماهير طهران وغيرها من المدن الايرانية الكبرى من الغلاء الفاحش والارتفاع الجنوني في اسعار المواد الضرورية وبعد ان اضطرت الحكومة الى اتخاذ اجراءات قمعية شديدة ضد اصحاب المتاجر ، حيث سجن مايزيد على خمسة وعشرين الفا منهم ، وبعد ان تجاوزت الحكومة بأجراءاتها القمعية التجار واصحاب الحوانيت الى المساس مباشرة بمصالح المؤسسة الدينية ، وبعد ان التهب « البازار » اي السوق غضبا على الشاه وحكومته وللبازار كما نعلم اوسع الاثر والنفوذ في

السياسة في ايران ، بعد كل هذه الوقائع ، انضم هذا الجناح من المؤسسة الدينية ، والذي لم يسبق له العمل من قبل في السياسة ، الى الجناح المتطرف من المؤسسة الذي كان يرأسه الخميني .

٢ - الجناح الثاني

اما الجناح الثاني من المؤسسة فكان يمثل المعتدلين في السياسة وكان من ابرز قاداته اية الله شريعة مدارى ومحمد رضا غوليا يقانى ومحمد هادى ميلانى واخيرا اية الله زنجانى . وكان هذا الجناح حريصا كل الحرص على الابقاء على قنوات اتصال بينه وبين الشاه . وكان يعارض منح المرأة حق الانتخاب وكذلك قانون الاصلاح الزراعى ويسعى جاهدا للحفاظ على مصالح المؤسسة الدينية وكان يطالب بنظام ملكى دستورى وبالعودة الى العمل بدستور عام ١٩٠٥ والذي ينص على ان تكون هناك لجنة مؤلفة من خمسة مجتهدين اوفقهاء ويكون لها القول الفصل فى اقرار كل قانون يصدر عن مجلس النواب . وقد سبق لهذا الجناح ان ساند حركة مصدق وتعاون مع الجبهة الوطنية الايرانية وجبهة تحرير ايران لكنه كان دائما وابدا يحافظ على استقلاله وذاتيته .

وزبدة القول ان هذا الجناح من المؤسسة الدينية لم يكن جناحا ثوريا يهدف الى اسقاط النظام الشاهنشاهى واستبداله بأى نظام آخر بل كان بطبيعته تيارا اصلاحيا سياسيا لكنه

شديد المحافظة اجتماعيا . وكان من مطالبه الرئيسية العودة الى العمل بدستور عام ١٩٠٥ لكن اجراءات الشاه القمعية ضد البازار (السوق) بالاضافة الى قيام الشاه بانشاء حزبه المعروف باسم حزب البعث الايراني ورعونة هذا الحزب في سلوكه السياسى ، وإثارة الذعر بين صفوف هذا الجناح الدينى المعتدل ، جعل المعتدلين الممثلين بشريعة مدارى ومحمد رضا غوليا يقانى ، يرون فى حزب البعث الايرانى عزم الشاه وتصميمه على تصفية المؤسسة الدينية كيانا ونفوذا كل ذلك دفع بهذا الجناح المعتدل الى الانضواء تحت راية الخمينى والى اندماج معظم قواعده فى قواعد المتطرفين .

٣ - الجناح الثالث :

اما هذا الجناح من المؤسسة فهو الجناح المتطرف الذى يرأسه الخمينى وبعض تلامذته البارزين كمحمد بهشتى ومرتضى مطهرى وهاشمى رافسنجاني واخيرا على خامينى رئيس الجمهورية الايرانية الحالى ولم يكن هذا الجناح يتوخى الاصلاح ولم يكن يطالب بالعودة الى دستور عام ١٩٠٥ فلقد كان ثوريا بكل ما للثورة من معنى ومفهوم فلقد كان يريد انشاء نظام جديد كل الجده ، يكون فيه لرجال الدين السلطة المطلقة . ويتمثل فى حكومة اسلامية وكان يقول ايضا بانه يتوجب على هذا النظام الا يطمئن الى الليبراليين فهو يرى ان الليبراليين قد خدعوا وخانوا المؤسسة الدينية بشخص مصدق لذلك على

القائمين على هذا النظام الا يكلفوا الليبراليين بغير المهام الثانوية ولكن ينبغي الا يشعر الليبراليون بحقيقة نوايا رجال الدين تجاههم .

ويجدر بنا ان نذكر هنا ان اية الله محمد بهشتي كان يتمتع بعقلية سياسية مرنة للغاية . وكان منفتحا على مختلف التيارات ، بمن فيهم الشاه بالذات وكان حتى قبيل سقوط الشاه يشغل منصب امام مسجد بمدينة هامبورج الالمانية .. وكانت الحكومة الايرانية هي التي تتولى الانفاق على المسجد المذكور . كما كان بهشتي يؤلف الكتب المدرسية لحساب وزارة المعارف ، وعلى الرغم من ذلك كله فانه بقي متمتعا بثقة الخميني المطلقة . اما هاشمي رافسنجاني فلقد تميز بقدرته الفائقة على التنظيم ولاسيما تنظيم الشبكة السرية التي كان يشرف عليها « خميني » بالذات واخيرا فان اية الله مرتضى مطهرى كان يتميز بعقلية فلسفية وبراعة فائقة في التنظير . وقد بقي حتى ساعة اغتياله يشغل منصب استاذ العلوم الدينية في جامعة طهران . كما سبق له ان كان ايضا وفي عهد الشاه ، المشرف العام على الحسينية الشهيرة حسينية الارشاد .

ج - تكتيك الخميني :

على الرغم من ان الخميني كان واضحا غاية الوضوح في بعض اهدافه الاستراتيجية ولاسيما اسقاط الشاه ونظامه . وكان صلبا في تمسكه باهدافه المعلنة وعنيدا حتى المكابرة في

الدفاع عنها غير انه كان يتمتع بمرونة عجيبة وبراعة فائقة في تكتيكه فلقد كان يتعاون مثلاً مع كل فئة اوهيئة او حزب يلتقى معه على اسقاط الشاه . ولم يكن يهتم بايدولوجية ذلك الحزب وسواء كان شيوعيا ملحدا ام ليبراليا ماديا ام حتى فوضويا وكان يشعر جميع من يتعاون معهم بانه منهم ولهم وانه لن ينصر ولا ينصراية فئة على اخرى وان هدفه الاوحد هو وحدة الكلمة ووحدة الصف معا ولذلك وقف على الحياد عندما قام الدكتور على شريعتي بالهجوم على بعض رجال الدين في المحاضرات التي كان يلقيها في حسينية الارشاد الامر الذي دفع بتلميذه الاثير مرتضى مطهرى الى الاستنجا به كي ينصره على الدكتور شريعتي ولكن الخميني الذي كان يدرك ماللدكتور على شريعتي من تأثير ونفوذ في دوائر المثقفين ولاسيما الشباب منهم رفض الاستجابة الى شكوى مطهرى وبقي صامتا ، مما اضطر مطهرى الى الاستقالة من منصبه كمشرف ومدير للحسينية المذكورة ، وذلك احتجاجا على موقف الخميني منه .

اضف الى ذلك انه عندما صدر كتابه الشهير ولاية الفقيه ، او الحكومة الاسلامية واثار ثائرة معظم المعارضين لنظام الشاه بسبب ماطالب به الخميني للفقيه من سلطات مطلقة سارع الخميني الى الابعاز الى انصاره بان يذيعوا ويشيعوا بأن السافاك (الاستخبارات الايرانية) هي التي قامت بدس الكثير من السموم في متن كتابه المذكور .

والحق ان الخميني كان في تكتيكه يرفض دائما ان يترك لاي حدث او جماعة او انسان ان يستجره الى موقف لم يعزم مسبقا

على اتخاذه او ان يجعله يبدو متحزبا لاية حركة او جناح او جماعة ولقد اتعظ بردود الافعال التى خلفها كتابه ولاية الفقيه تلك الردود التى كادت ان تفرط عقد المعارضة وتشيع الانقسام فى صفوفهم لذلك اخذ منذ عام ١٩٧١ يركز كل نشاطاته الدعائية والتنظيمية على هدف واحد ووحيد الا وهو اسقاط الشاه ونظامه الامر الذى مكنه اخيرا من احتواء جميع المعارضين العلمانيين فلسفة وحتى الماركسيين منها وكذلك اتباع مصدق بجميع فروعهم ومشتقاتهم ولكن مرونية هذه فى التكتيك سرعان ما كانت تتحول الى تصلب وعناد شديدين اذا لمس ان ثمة حركة او جناحا او حزبا او انسانا من اعوانه او مخالفيه يطمع فى ان يحل محله كقائد سياسى وزعيم روحى . ذلك لان الخمينى كان عازما العزم الاكيد على الاينتهى الى ما انتهى اليه اية الله الكاشانى على يدى مصدق لذلك رفض عرض ضباط الجيش الايرانى عندما اوفدوا ممثلا لهم الى باريس ليعرض على الخمينى القيام بانقلاب عسكرى على الشاه شريطة ان يحظوا بتأييده العلنى لهم . فلقد اجابهم الخمينى بانه لن يسمح لغير الامة الايرانية باسقاط الشاه ، وان على الجيش الايرانى ان يعرف حق المعرفة بانه حتى ولو انقلب على الشاه او اسقطه فانه سيتابع الصراع ضد الجيش لان الجيش كما قال الخمينى لهم ، اذا تسلم السلطة فلن يتنازل عنها الا بعد صراع دموى طويل بينه وبين جماهير الشعوب الايرانية .

لقد كان ومازال الخمينى عازما على الايسمح لغير المؤسسة الدينية بتولى مقاليد السلطة فى البلاد وعلى العباد وكان الخمينى

صريحا للغاية في الاعلان عن عزمه (الانف الذكر في الخطاب الذى وجهه الى رجال الدين في ٢١ يونيو من عام ١٩٨٢ حيث قال ما ترجمته بالحرف الواحد .

« اننا حينما نتأكد من ان ثمة مجموعة من الناس ، ومن غير رجال الدين سيحكمون وفقا للشرعية و عندئذ سيعود الخمينى وكذلك البارزون من رجال الدين الى بيوتهم وسيتخلون عن السلطة لمثل تلك المجموعة ولكن طالما لايزال يراودنا الشك في وجود مثل اولئك الناس ، فاننا سنبقى متمسكين بمقالييد السلطة ولن نأبه بما يقولونه او يتقولونه ولن نعبأ بوصفهم لنا باننا دولة الملا ، فهم يريدون ان يرغمونا على التخلي لهم عن السلطة ليحكموا بغير ما يتفق وشرف الاسلام .

والحق ان مثل ذلك الكلام الصريح في معناه واهدافه ، ماكان ليصدر عن الخمينى قبل عودته ظافرا .. الى طهران وانفراده وحزبه بمقالييد السلطة في ايران . فلقد كان الخمينى بارعا وموفقا كل التوفيق في اخفاء نواياه الحقيقية عن حليف في غاية القوة والنفوذ ، الا وهو الدكتور على شريعتى الذى لايزال يتمتع حتى هذا اليوم ، وبعد مرور اربع سنوات على وفاته ، باحترام الشيبه الايرانية والمتقفين الايرانيين على اختلاف مشاربهم كما كان الخمينى ايضا ناجحا كل النجاح في اللعب على سداجة المعارضة المسلحة كالمجاهدين المسلمين الماركسيين والفدائيين ومجموعة « ابوذر الغفارى » ومجموعة الشيعة الاصلية والمنظمة الشيوعية الثورية الايرانية ، الى غير ذلك من امثال هذه التنظيمات التى انضوت تحت لوائه وشاركت المشاركة

الفعلية في اسقاط الشاه ونظامه ، اما اليوم فاننا نرى جميع تلك
التنظيمات باستثناء الشيوعيين ، ولاسيما حزب توده تستأنف
صراعها المسلح ضد الخميني ونظامه .

الفصل الاخير

أ - مدخل :

لم يعرف الخميني إنه ليس المهم ان يسقط النظام ، لكن المهم غاية الاهمية ان لاينتهى بايران ، بعد سقوط الشاه ، الى فراغ تتخبط فيه الشعوب الايرانية في ظلمات الحيرة ، فلاتعرف اين تسير ولا الى اين تقصد ، فتمسى بذلك فريسة لديناميكية احداث تستجر وتجر السلطة الثورية الى مجتلدات العنف وسراييب التوجس والقلق .. الامر الذى يستنزف طاقات الامة ويهدر زخومها ويشل حيويتها ، فالثورة ليست غاية في ذاتها ، وينبغى ، وفي مطلق الاحوال الا تصبح غاية في ذاتها ، انها فقط وسيلة الى هدف يتمثل في اتاحة الفرص لتطور الامة الروحي والمادى الى الافضل لذلك فليست ثمة مثل عليا ثورية ولاقيم ثورية ، فالثورة فعل نفى لما هو كائن وليس فعل تأكيد على ماينبغى ان يكون ، ولاحتى فعل انطلاق نحو مايجب ان يكون ، انها فعل تهيئة لانطلاق ، انها عملية جراحية كبرى تجريها الامة على مجتمعتها ، لذلك فان الصحة صحة المجتمع وعافيته هما الهدف ، وليست

العملية الجراحية ، ولقد دفعنى الى كتابة ماوردته أنفا كون بعض الضالين او المضللين من المتعسكرين فى العالم الثالث ، اشد تروتسكيه من تروتسكى بالذات ، وذلك من حيث ايمانهم بالثورة الدائمة الامر الذى يعنى الخروج على قوانين التطور والشذوذ عن سياق التاريخ ومجراه .

ويتوجب على المرء ان يعرف حق المعرفة بأنه ليس من المهم ان تستولى على السلطة ، بل انما المهم غاية الاهمية ان تعرف كيف ولماذا تستخدم السلطة ، ولقد اتضح ان الخمينى وزمرته لايعرفون حتى كتابة هذه السطور ، ماذا يفعلون بالسلطة وكيف يستخدمونها ، ولاخلاف ان السبب فى ذلك يعود اولا واخيرا الى ان الخمينى وعصبته قد استولوا على السلطة قبل ان يتوفر لهم اى منهاج او برنامج يمكن ان يكون لهم دليل عمل فى ممارسة السلطة الممارسة العاقلة المعقولة والهادفة الى الارتفاع بالشعوب الايرانية الى مستوى من الحياة ارفع من المستوى الذى بلغته الامة الايرانية فى عهد الشاه .

والحق ان افتقار السلطة الثورية بخاصة الى دليل عمل ، يجعلها قوة خطيرة غاية الخطورة ، فى داخل بلادها وخارجها ، وذلك لانها تحاول ان تسترققها ، او بالاحرى جهالتها بقناع من العنجهية والغرور ، وان تقض مشاكلها بالقمع والزجر ، فليس كالغطرسية من ستار للجهالة ولا كالعنف من سلاح لها ، وليس ثمة عامل يبعث على اشد انواع الغثيان مرارة وقرفا كاستعلاء الجهالة التى حينما تستعلى تبلغ اقذر درك من دونية الجهل .

ولكن هل كان الخميني يفتقر الى الاعوان من الجهابذة في ثقافة العصر ، والمتجربين في سياسات وسيكولوجيات الشعوب وتواريخها ؟ فماخرج علينا به الخميني في كتبه ولاسيما في كتابه ولاية الفقيه او الحكومة الاسلامية ، وحتى في كتابه كشف الاسرار ، انها يمثل عموميات ضبابية وتجاريذ ميتافيزيقية ، وآراء بلغت من السخف والهزل درجة لاتبعث فقط على الرثاء للأمة الايرانية ؛ بل وايضا على التفجع على ما آلت اليه ايران من مصير .

والحق ان الخميني لم يكن يفتقر الى تلك العناصر البشرية التي حصلت على اعلى الدرجات العلمية واكتسبت من الحياة النضالية بمرير تجاريبها ، المعارف الواسعة في النظرية ، والخبرات العميقة في التطبيق ، لكن الخميني كان يفتقر الى الغيرية في القيادة والتوجيه ، والى الخيرية في الفطرة والسلوك ، وعلى الرغم من اننى راسخ القناعة من انه لم يكن ثمة انسان ينافس الخميني او يطمع في منافسته مستقبلا ، غير ان افتقاره الى خيرية الفطرة جعله انويا ، ولا اقول انانيا ، يعتقد انه بلغ اعلى مراتب الحكمة واصبح مطلعا على الحقائق النهائية في الكون .

والحق انه لم يسبق ابد الاى زعيم ثورة في التاريخ الحديث ان اجتمع حوله ذلك العدد الضخم من المثقفين والمتعلمين والطلاب ما اجتمع حول الخميني منهم . واننى لا اتجنى على الحقيقة اذ اقول ان الخميني اصبح في عام ١٩٧٧م الزعيم الاوحد لا للمثقفين والطلاب فقط ، بل وايضا للبيروقراطيين والتكفويين ، فالى من

يعود الفضل في تجنيد الانتلجنسيا التي تردد اليوم بيت الشعر
القائل :

« رب يوم بكيت منه فلما صرت في غيره بكيت عليه »

ب - الانتلجنسيا المسلمة :

لاخلاف ان الدكتور مهدي بازرجان والدكتور صحابي ،
استاذ الجيولوجيا سابقا في جامعة طهران ، هما الابوان
الروحيان للانتلجنسيا الايرانية المسلمة ، وهذان العالمان
المسلمان ولاسيما الدكتور مهدي بازرجان هما اللذان كان لهما
الفضل الاكبر في ربط المثقفين بالخميني وفي دفع الطلاب
الايرانيين الى الانتظام في جمعيات عرفت باسم جمعيات الطلاب
المسلمين التي انتشرت في القارتين الاوروبية والامريكية ، وكانت
لها صحفها ونشراتها ونواديها .. وتعهدت شبابا بلغوا اعلى
مستوى من ثقافة العصر كالدكتور علي شريعتي ومحمد ناخشاب
وحسن نزيه ومصطفى تشمران وعزت الله صحابي والدكتور
عباس شيباني وصادق قطب زاده .

ويجدر بنا الانغفل هنا ذكر تلك الشخصية الديناميكية التي
لمعت كانها الشهاب .. ثم اختفت في ظروف غامضة .. واعنى بها
الامام موسى الصدر ، الزعيم الروحي لطائفة الشيعة في لبنان ،
والذي كان السند الاول للمعارضة الايرانية ، في الخارج
وسفيرها الى الدول العربية والاسلامية والاجنبية .

لقد قلت سابقاً ان الخميني كان بارعا غاية البراعة في التكتيك
وانه درج طوال حياته في المنفى على الانطلاق في حوارهِ من النقاط

المتفق عليها بداهة ، والبقاء داخل هذه النقاط ، وعدم التعرض بحثا او نقاشا او عرضا لاية نقاط قد تبعث على الانشقاق او الجدل ، ولكن الخميني مع كل ذلك ، لم يكن ليتسامح مع اى فكرة او انسان قد ينافس او يشكل خطرا على زعامته الاوحدية لايران الثورة الامر الذى يثير فى ذهنى اشد الشبهات اقول الشبهات لا الاتهامات ، فى اسباب وفاة الدكتور على شريعتي ومن ثم محمد ناخشاب فالامام موسى الصدر واخيرا مصطفى تشمران .

ج - شبهات وشبهات :

لم يكن خافيا على احد ان الدكتور على شريعتي ومن ثم محمد ناخشاب فالامام موسى الصدر واخيرا مصطفى تشمران ، كانوا يمثلون قيادة تيار يتفق وتيار المؤسسة الدينية الايرانية التى استولى عليها الخميني يتفق معها فقط على اسقاط الشاه ، ويختلف معها على كل مبدأ اخر وسواء كان ذلك فى ميادين السياسة او الاقتصاد او الاجتماع ، وكان هذا التيار كما يعرف البعض ؛ اشد ترابطا وارتباطا بالتيار الليبرالى منه بتيار المؤسسة الدينية ، فالامام موسى الصدر مثلا كان من حيث يدرى او لا يدرى ، متأثرا بالدكتور على شريعتي اكثر من تأثره بصهره وابن عمه وذلك لان النظرية الاجتماعية التى قال بها كانت نظرية قريته للغاية من نظرية الدكتور على شريعتي ، بدليل ان حركة المحرومين التى اسسها الامام موسى الصدر فى لبنان كانت ثورية الاسلوب والجوهر معا ، ناهيك بالكراهية الشديدة التى كان

يكنها محمد بهشتي ومنتظري الاب للامام موسى الصدر .

ومن الغريب ان موسى الصدر والدكتور على شريعتي ومحمد ناخشاب قد اخفاهم الموت عن مسرح الحياة عشية الثورة الايرانية ، اصف الى ذلك انه قد ثبت الان بما لايقبل الشك ان النظام الايراني الحالي هو الذي قام باغتيال مصطفى تشرمان في الجبهة العراقية الايرانية زاعما بان تشرمان قد سقط برصاص الجند العراقي ، وقد جاء مقتل تشرمان بعد وفاة الدكتور على شريعتي ومحمد ناخشاب والامام موسى الصدر ، بمثابة القضاء نهائيا على كل حركة مقاومة جدية لنظام الخميني ، فلم يكن في واقع الحال تيار ابي الحسن بنى صدر ولا مسعود رجوي ، هو الذي يشكل خطرا مباشرا على زعامة الخميني وعلى نفوذ زمرته بل كل تيار الدكتور على شريعتي ومحمد ناخشاب والامام موسى الصدر ثم مصطفى تشرمان الذي كانت خلاياه منتشرة في جسم القوات الايرانية المسلحة .

ولذلك فان ظروف وفاة اولئك وملابساتها تحيط قادة النظام الحالي في ايران ودولة عظمى بشبهات شديدة تجنح بي احيانا الى الاتهام ، فالدكتور على شريعتي كان بمثابة القوى الضاربة لاية معارضة تعزم على الانقضاء على الخميني حينما تؤول السلطة اليه . ولقد كان من مصلحة الشاه لافقط الابقاء على الدكتور على شريعتي بل المحافظة عليه ايضا ..

اذ انه كان القوة الوحيدة المؤهلة لشق صف المعارضة الى دينية وليبرالية ، الامر الذي بدت ارهاصاته في الخلاف الشديد الذي نشب بين الدكتور على شريعتي وآية الله مرتضى مطهرى

تلميذ الخميني الاثير ، وذلك بسبب الهجوم الذي شنه الدكتور شريعتي على جهود رجال الدين وتزمتهم .. فهل يجوز لشبهاتي اذا تساءلت عنى يكون المستفيد من وفاة اولئك في ظروف غير طبيعية ، اقول هل يجوز لها ان تتحول الى اتهام للنظام الايرانى الحالى بالذات ..

د - من هو على شريعتي :

من المؤسف ان الخميني بعد استيلائه على السلطة ، بذل غاية الجهد لطمس الدكتور على شريعتي كمفكر اسلامى ومناضل وقائد ، ولاغرو في ذلك ، فالمرء يسعى لابل يكافح لدفع منافسه او ضحيته الى زوايا المغمورية والنسيان ، ويجدر بنا قبل ان نتحدث عن على شريعتي ، ان نشير الى الظروف التى عاشها على شريعتي فكرا ومنهجا ، فالدكتور شريعتي لم يكن فقط ذلك المفكر الاسلامى الموسوعى الثقافى الراسخ الايمان ، بل كان ايضا المناضل الشجاع تحت راية الاسلام . وفى ظروف طغت العلمانية بماديتها على كل معتقد ، واصبح القابض على دينه كالقابض على الجمر ، انها الظروف التى عصفت بالمجتمعات العربية والشرق اوسطية وبحركات التحرر الافريقية والاسيوية ، طوال الخمسينات ومعظم الستينات من هذا القرن فاولادنا قد لا يذكرون الآن ، ان التنكر للاسلام يومذاك كان الدليل على الثقافة التقدمية وكان التمسك بالاسلام البرهان القاطع على الجهالة والرجعية وغدت المادية ، او بالاحرى الاشتراكية موضحة العصر ، وامست الثورة كلمة مرادفة للصالح

والفضيلة . واصبحت ثورة الزنج في البصرة منارا تاريخيا للامة ، والحركة القرمطية ودولتها في البحرين المثل الاعلى للقومية ، نعم الى ذلك الحد اختلت الموازين وتدهورت القيم وعاش المسلم في اجواء خانقة من الارهاب الفكرى والتعذيب الجسدى وبهذا تساوى الفكر والشجاعة قيمة وفضيلة ..

ولد الدكتور على شريعتى في عام ١٩٢٣ في قرية تقع في المنطقة الشمالية من مناطق خراسان ، وقد تأثر في طفولته بوالده الذى كان يدرس مادة التاريخ الاسلامى في مدارس خراسان ، وبعد ان انهى دراسته الثانوية التحق بجامعة مدينة مشهد حيث قخرج منها ليعمل مدرسا في مدارس الريف الايرانى ، وفي عام ١٩٥٨م عاد الى جامعة مشهد ليتابع دراسته وقد حصل في عام ١٩٦٠م على درجة ماجستير في اللغتين العربية والفرنسية ، وبعد تخرجه ارسلت به الحكومة الايرانية ببعثة علمية الى باريس للحصول على درجة الدكتوراه في اختصاصه وقد انغمس في باريس في العمل السياسى وفي دراسة الفلسفات والنظريات السياسية المتطرفة ، ومن ثم انضم الى حركة التحرير الايرانية وانتسب الى اتحاد الطلاب الايرانيين في اوروبا وسرعان ما اصبحت رئيسا لتحرير الصحيفة الايرانية التى كانت تصدر في باريس باسم جريدة الشعب ولتحرير مجلة « رسائل فارسية شهرية » لسان حال اتحاد الطلبة الايرانيين .

وفي عام ١٩٦٥ عاد على شريعتى الى ايران فالتقى به فور عودته في غياهب السجن حيث امضى فترة تزيد على ستة شهور وبعد الافراج عنه حاول ان يعمل مدرسا في جامعة طهران

ففشل ، فعاد الى خراسان حيث اخذ يعمل مدرسا في الريف ، ومن ثم انتقل الى مدينة طهران حيث عمل طوال ستة اعوام محاضرا في حسينية الارشاد ، وقد جمعت المحاضرات التي القاها في هذه الحسينية في خمسين مجلدا ، عدا اشربة التسجيل المحتوية على دروسه .

الامر الذي جعله من اوسع الشخصيات الايرانية واشدهم نفوذا بين المثقفين والشباب ولاسيما الطلاب منهم ، وقد بلغ من الشهرة حدا ارغم السافاك على اعتقاله واغلاق حسينية الارشاد وقد امتدت فترة سجنه الثانية من عام ١٩٧٢ - ١٩٧٥م حيث افرج عنه وفرضت عليه الإقامة الجبرية في منزله ، وفي شهر مايو من عام ١٩٧٧م سمح له الشاه بالسفر الى لندن ، وقد توفي بعد شهر من وصوله لندن بجلطة قلبية صاعقة ، ونقل جثمانه الى دمشق حيث دفن ..